سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار

كتاب

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار

تأليف

خاتمة المحققين وقدوة أهل الرسوخ واليقين
سيدنا وسندنا المولى الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة
البعقيلي السوسي أصلا البيضاوي وطنا

متّع الله بعلومه المسلمين والإسلام

آمين

الطبعة الثالثة ـ تونس 1440هـ /2018 م

الكتاب:

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار

المؤلف

الحاج الأحسن البعقيلي

الطبعة الثالثة ـ تونس 1440 هـ

ر ـ د ـ م ـ ك: ISBN: 9789973053190

تونس

1440 هـ / 2018م

إهداء

بسم الله الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ.

الحمد لله قبل كلّ أحد

الحمد لله بعد كلّ أحد

الحمد لله على كل أحد

إلى روح سندنا وقدوتنا فريد عصره وأعجوبة دهره حَبْر الأمة سيدنا الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة البعقيلي.

إلى روح من كان سببا في نشر علومه وأسراره في ربوع تونس الخضراء تلميذه الأبر العارف الكامل، مربي الأجيال، شيخنا وقدوتنا سيدي الحاج محمد بن إبراهيم القماري البعقيلي.

إلى شيخنا، قرة أعيننا، المجاهد في سبيل الله تعالى بالحال والمقال، الرجل الذي لا يزال يربينا بسر السر، مَن اكتملت فيه صفات العلم الذي أمرنا رسول الله ﷺ ألا نجلس

إلا إليه بقوله: ((**لا تجلسوا معَ كلِّ عالمٍ إلَّا معَ عالمٍ يدعوكم من خمسٍ إلى خمسٍ منَ الشَّكِّ إلى اليقينِ ومنَ العداوةِ إلى النَّصيحةِ ومنَ الكبرِ إلى التَّواضعِ ومنَ الرِّياءِ إلى الإخلاصِ ومنَ الرَّغبةِ إلى الرَّهبة**))[1] مولانا الحاج محمد الكبير أبو عقيل فالله هو الذي يجازيه بما هو أهله ونحن نطلب من الله أن يبارك لنا في علومه الربانية. آمين. والله من وراء القصد.

الحاج الحبيب بن حامد

مقدم الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

لطف الله به في الدارين آمين

---

[1] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 75/8.

بسم الله الرحمان الرحيم

(وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما)

الحمد لله الذي هدى إليه من استهداه ونصر على جيوش النفوس من اجتباه وأرشد كرائم الأرواح لثبات جلاله وأوقفها بين يديه لإفاضة جماله الفاعل المنفرد المختار الحاكم بفضله وعدله على فاعل الاضطرار والصلاة والسلام على إمام الواصلين وقبلة المريدين قائد الغر المحجلين فاتح النبوءة وخاتمها أصل المكونات وروحها هادي أهل السعادة وممدّها معلّم آداب العبودية بالتعلق بالربوبية من لا يدل إلا على مولاه بحاله ومقاله باب الحضرة وينبوع العلم الوهبي بلسانه صلاة وسلاماً مناسبين لمقام كماله وليست إلا من مولاه مفاضة من حضرة كماله. وبعد فإنني لما منّ الله عليّ بحضرة دين المنعم عليهم من الأصفياء تذكرت إخواننا العبيد الأتقياء فأحببت أن

أوضح لنا ولهم زلال العبودية لتنقشع عنها العبودة المحضة ويزال نقاب محياها بعبارة غضـــة فيعقبها ذوق ما أشـــار له العارفون بـأســـاطير التلويح والكنـايـة فيربح كـل تاجر بإحكـام فهم مـا ســـطرناه بالعناية فالله المبدئ المتم المعيد هو الذي أنطق كل شـــيءٍ المحرّك المســـكّن. اللفظ قالب المعاني والقلب قالب الأسـرار والمراد للمباني وسـميته (**سـوق الأسرار إلى حضـــرة الشـاهد الستّار**) وبعد فليعلم اللبيب أن كل ما خطر بباله فالله بخلافه وأن هذا الكتاب إنما يسـاق به مسـاق الأمثال وهو وما فهم منه ومـا تخيلـه الأفهـام عنـد تقريره رمز حـادث لا غير وأن المقصود به إفراد الوجهة إلى حضـرة الألوهية وهو المعبر عندهم بالتوحيد فـالتوحيـد توجيـه وإفراد الوجهـة إلى ســـيادة المالك بالخشـوع والخضـوع والتذلل لسـطوة سـبحات جلاله فإن كثيراً من العباد مغرور بحضرة الدنيا وحضرة الآخرة وحضـــرة البرزخ وحضـــرة متعلقاتها. فألممت هنا بما يزيح شـــوب العبودة بغيرها

﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [2] فيجب إفراد المملوكية لقبلة سيادة المالكية فافهم فإن كل ما سوى الله عبد مملوك له حقيقة والمالك واحد أحد والمملوك من حيث الفعل الإلهي واحد وباعتبار جهات الجزئيات متعدد والعبيد المكلّفون بحسب ما ظهر ثلاثة **عبد الأجرة** وهو من يعبد لغرض دنيوي أو أخروي أي حمله الغرض الطمعي على العبادة من صلاة وأذكار فهذا بعيد بعد نسبة من الحضرة المالكية مستوجب بعبادته البوار والنكال لولا فضله تعالى عليه وعبادته مردودة عليه لأنه عابد لنفسه لا لربه فهذه مرتبة المخلصين وأهل الإخلاص على خطر عظيم **وعبد عصيّ** من حمله خوف على العبادة وهو خوف لحاق ما توعّد به العاصين من أليم النار وهذا عابد لهواه وهو أجلف المتعبدين لأن المعلول يدور مع العلة وجوداً وعدماً لولا الجنة والنار لظهر من يعبد الله ممن لا يعبده والمغتر بالظواهر كثير فكثيراً من تجرد للخلوات والرياضة

---

[2] (116) سورة النساء.

والمجاهدة الفادحة لهاذين الغرضين الفاسدين عند كل ذي ذوق سليم فيحتمل المكاره لها وربما يدله عليه من لم يصحح وجهته وتوحيده فيكون عوناً للشيطان عليه **والثالث عبد الله** وهو من حمله على أنواع العبادة امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه إن كان من الدرجة الأولى من المقربين أو حمله استحقاق المالك الحق لأنه السيد المنفرد بها إن كان في الدرجة الثانية وهو خاصة المقربين أو حمله الشوق والشكر والغلبة لما فجأه من الجمال والجلال وهي الغاية القصوى في الإتقان والإحسان من غير تعرّض لامتثال وإن كان ممتثلا ولا استحقاق لما دهمه من الجمود الصرف والفناء عن كل ما غشيه من السواحق والدواك لإحساسه فكان عبداً جامداً لنفسه متصرفاً لربه ميتاً لها حياً بربه مجرداً عن العقل عقل تمييز وعقل كلي فانفتحت له عيون بحور حضرة العقل الرباني فتصرّف به ربه بما انطوى فيه من أنوار عقله الرباني فخلف نور عقله نور المريدين والسالكين والعابدين واعلم أن العارف يكون كالقلم بين يدي كاتبه فهو جامد لا روح فيه ولا عقل ولا تمييز ولا إرادة ولا سلوك بل

عرضـــة الكـاتب فحظه أن كان آلة للكتب فيا ســـعادة له إن استعمله الكاتب في القصـائد المليحة وكتب به خطاً مسـتقيمًا حسناً بفضله وويل له إن استعمله الكاتب في القصائد المخالفة لآداب حضـــرة الملوك وإن كتب به ذلك فالكاتب له أن يبريه وينجره بما ظهر لـه ولـه أن يحرقـه بالنـار أو يهمله وإلا فالأقلام كثيرة جداً فإن اسـتعمله فبفضـله وإن أهمله فبعدله له لأنه ظالم بكتبه القصائد المناقضة للآداب والحروف الغيـــر المستحسنة والمالك يفعل في ملكه ما يشـــاءُ غير ظالم فالظلم شـــغل ملك الغير والقلم ســـهم الكاتب فافهم فلله المثل الأعلى ففعل الكتابة من قوة الكاتب والمباشـرة للقلم فبها يأخذه سـياسـة ثم اعلم أن العبد على الحقيقة الأصـلية لله واحد سـيدنا محمد صـلى الله عليه وسـلم هو الذي أفرد الحق كليته إلى الحضـــــرة القدسية إفضـــالاً منه جل وعلا لأنه خلق من صـــفوة النور الإلهي وهو الذي خلقه لنفسـه وما سـواه صلى الله عليه وسلم يعبد الله من وراءِ حجابيته صـــلى الله عليه وســـلم حتى الأنبياء فإنهم خلفاؤه صـــلى الله عليه وســـلم في ذلك فهو العابد لله دائماً القائم بحق

الربوبية والعارفون يعرفون الله بما ظهر لهم من العابد صــلى الله عليه وسـلم وهم غرقى في أنواره صلى الله عليه وسـلم متوجهين به لحضــرة ربهم فهو قبلتهم وإمامهم من يوم فطر الله الخلق إلى ما لا نهاية لأيام الآخرة فكلّ من ناب عنه صلى الله عليه وسلم بحلته التي ألبسـها له صلى الله عليه وسلم ومن ناب عمن ناب عنه صلى الله عليه وسـلم يعبد الله بحسـب صـفاء الحلة التي ألبســها فهكذا إلى آخر الدهر ثم أكبر الخلق عبودية بعد الأنبياء القطب الجامع الكامل الوارث أخلاق النبي صـــلى الله عليه وسـلم ثم القطب دونه ثم من ضاهاهم إلى آخر الدهر وسيتبين لـك ذلـك كلـه في عرصـــات القيامـة فمن ورث مقام نبي من الأنبياء يعبد الله بقدر ما ورثه ذلك النبي من حضـــــرة قطب الوســائل صـــلى الله عليه وســـلم فإن كان قطباً مثلا يغترف ويتصـرف بحسـب عبوديته المكتسـبة من موروثه ومن ورث المقام المحمدي يكون كاملا لجمع علم الأولين والآخرين تتفجر منه الشـــــرائع كلها ويعبد الله بجميع شـرائع الأنبياء لأنه ورث بالفضـــل الإلهي ممـدهم وروحهم وإنمـا ألممت بهـذا وإن كان

مســتطرداً لتعرف وسـاطته صـلى الله عليه وسـلم قبل الوصول وبعده فإن حجبت عنك وســاطته صــلى الله عليه وســلم فقد حجبت عمن كان قبلك من كبار العارفين مع اعتقادهم واعترافهم بها بل لا يتجلى أحد إلا بحلة شــيخه الموروث له وهو صــلى الله عليه وســـلم ﴿قَابَ قَوْسَـــيْنِ﴾ [3] أي دائر بما خلقه الله المســـمى بالأمر الإلهي وهو الكون فاعلم أن الكون من حيث هو مثاله باعتبار عظمة المالك جل وعلا كبيضة صغيرة لا ظهور لها إلا كظهورها فقاب قوسين قشــرة البيضة ولها قشور متعددة وكل ما يســـمى بالمخلوق داخل في باطن البيضـــة من العوالم كلهـا الـدنيويـة والأخرويـة حتى العرش ومـا في جوفـه فحجـابيتـه صـلى الله عليه وسـلم دائرة به وما في داخلها محفوظ به صـلى الله عليه وســلم وهو مظله بحيث لو أزيل شـــيءٌ من حجابيته صـــلى الله عليه وســـلم لتدكدك ما في داخله من عرش وغيره فكـل مـا خطر في بال العـارفين الموحـدين فـإنما هو من جنس

---

[3] (9) سورة النجم.

العوالم المحشـوة في مرآته صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لأحد أيا كان ولو سـيدنا إسـرافيل الذي هو أكبر العارفين إلى تحقيق مرتبته صلى الله عليه وسلم فضلا عن الإحاطة وقد أعجز الحق جل وعلا جميع الخلائق عن إدراك جوهرة واحدة من جواهره صـلى الله عليه وسـلم ومعه إنما هو مخلوق له مثلنا ولقد قطع الحق جل وعلا أطماع الأفكار بالنبي صـلى الله عليه وسـلم ومنع به كل إدراك وجعله سوراً قاهراً لكل عارف فقاب قوسيته صـلى الله عليه وسـلم معناها أن الحق جل وعلا خلق صـفيه صلى الله عليه وسلم من صفوة نوره جل وعلا المكرم فأضاءت جوهرته صـلى الله عليه وسـلم فكل ما وصـله نور جوهرته فهو بحر الخليقـة المقهور ببحر الألوهيـة فركبـه الحق جـل وعلا من نور جوهرته أدوار بحور الفيض والسـقي الإلهي يظل بحر على بحر ويبرد حرارة السـطوة الإلهية تدريجاً حتى حصـل اللطف الكبير منه جل وعلا فكون الحق الفاعل المختار على حسـب مـا تعلقـت بـه الإرادة الأزليـة جميع العوالم المترتبـة في القوة والضـعف فحصـل لله الحمد الأمان والهناء لضـعيف الأكوان

بالقوي منها فهكذا حتى وصـلت إلى المرتبة المحمدية فهي ظل الجميع وأصــل الجميع وبحر فيوض للجميع كله لطفاً من المالك جل وعلا بعباده ليبقي لهم وجودهم المناســـب لهم بظل أقوى خلقه صـلى الله عليه وسـلم فاعرف قدر نبيك تعرف منه قدرك وإنما بينت ليلا تدعي الاســـتقلال فتدك بســـطوة غيرة مرتبة الحق على حبيبـه فتحـاول محـالا لم يرده اللـه جـل وعلا فـإذا عبدت ربك بما أفاضه عليك من حضـــرة نبيك صلى الله عليه وسـلم وعرفت وأعطيت للحضـرات حقها والأدب فاعلم أن الله عز وجـل لمـا خلق خلقـه ومن جملتـه الفلـك الـدولاب الـدائر الســـائر أبداً علق رزق خلقه بالعمل المتقن لأنه جل جلاله لا نسـبة بينه وبين مخلوقه وإنما خلق وقدر وأراد بفضـله فكل من عمل عملا متقناً أياً كان صالحاً أو غيره وأتقنه بشـــروطه التي قررها الشـــارع صـــلى الله عليه وســـلم بأقواله وأفعاله وتقريراته يدور له الفلك بسـهم غلة ذلك السبب بعد علمك أن السبب لا تأثير له بل إنما هو أمر مطاع فمن عمل عملا صالحاً من صلاة وصوم وذكر وأنواع القربات وأتقنه بشـــروطه المقررة من همة

نافـذة جاهـدة في طلبـه أو الموت دونـه فإن تعرض بعمله لدنيا يصيبها يدر له الفلك بها وهو غير عابد بــل مــسيءٌ مستحق في نفس الأمر المقت من الله لأنه لم يفرد العبادة له جل وعلا وإنما عبد لنفســه فهو مشــــرك في العمل المشـروع للعبادة المحضة بحظه الدنيوي لولا فضل الله عليه لأهلكه به لكن قدر أن كل من عمـل عملا وتعرض بـه لأمر وأتقنه يحصـــل على غرضه الذي هو النتيجة فتنفعل له الدنيا بســـر همته ولا حظ له في الأدب مع ربه بل هو مطرود من حضـرة القرب ولا يشم رائحة معرفة ســيده ما لم يتب ويخلص وجهته لحضـرة ســيده وربما يغتر بما حصـــل له من الفتوحات الدنيوية بســبب عمله فتنغلق عليـه أبواب الرب جـل وعلا فـالغرور اعتقـاد الأمر على خلاف ما هو عليه فقد اعتقد أنه حصـــــل على خاصـية الذكر مثلا فيـصرف همته عمره كله لمثله ويجعل ذلك عبادة ربه فيعد نفســـه من ﴿**الـذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [4] ويتلذذ بذلك في جميع

[4] (35) سورة الأحزاب.

أوقاته وكلما ازداد خدمة ازداد بعده من حضـرة سـيده ربه لأنه إنما يغلظ الحجاب بهمته ونيته وربما يدل العابدين على مثل عمله فهو ضال مضل محجوب بإشراكه في عبادة ربه فتناديه حضـــرة سيده ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت لنفسك فابق مع نفســك منعماً بغلة عملك ولأنت عندي أبعد من كل بعيد لنجاسة مطلبك فنأمر أخانا في ذات الله أن يرجع إلى ربه تائباً من نجاسة حظوظه ويفرد وجهته لربه ويخلص عمله ونيته له يجده ﴿**أَقْرَب إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ .[5] فافهم وإن عبد لغرض الخوف من عتابه وأتقن العمل بشـــروطه بهمة نافذة جادة أو الموت دونه يدر له الفلك بسهمه أي غلة عمله وهو الحفظ من أليم عقابه وهو غير عابد وغير أديب بل مشرك في الحقيقة لأنه استعمل السبب الذي يقصد به إمحاض العبودية والتعلق بالربوبية في حظ نفسه الذي هو الخوف من النار وهو في الحقيقة وإن كان محفوظاً من العقاب يستحق البوار بالإشراك

[5] (16) سورة ق.

﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْــــرَكَ بِهِ**﴾ .[6] وعدم الغفران بعده من حـــضرة سيده حتى يفيءَ إلى أمر الله ويتبرأ من الشـرك في العمل فتناديه الحضـــرة ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت نفسـك فـافهم ترشـــد وإن عبد لغرض الجنة وأتقن العمل إتقاناً محكماً بهمة نافذة جادة غير سائمة ويلاحظ بعبادته ما سمعه من لسان الشـــارع من أنواع النعم الحور وغيرهـا بحيث لا يريد بعمله إلا ثوابه الآجل الأخروي .[7] يدر له الفلك بســـهمه الذي هو غلة عملـه وهو ســـكنى الجنة والتنعم بما فيها من نعم ربه وهو غير عابد ولا أديب بل هو مســـتوجب بعمله عقاب سـيده لولا ما اكتنفـه من فضـــل ربه الذي عليه التعويل فيتلذذ بما تعرض له بعمله ولا ســهم له في حضـرة ربه ومعرفة سـيده بل يشـتغل بنفســه في الدنيا والآخرة منهمكاً في شـهواتها الحظية وإن كان يكرمه ربه بســماع لذيذ خطابه يوم الجمعة مع عامة الناس على حسـب الإفضـال لا غير فيبقى مع العامة سـاعة ثم يرد إلى نفسه

---

[6] (48) سورة النساء.

[7] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الأخروية".

متنعماً بشـــهواتها المألوفة محتجبة عن معرفة جنة ذوق ما ذاقه أهل الحق الذين هم الأكابر من الموحدين عبادتهم لربهم في دار حياتهم الدنيوية وغيرهم بطال وإن كان في نعيم الجنة فجنة الموحدين المفردين لمحض العبودية الأنس بربهم ولا تخطر نعم الجنة ببال وإن كانوا غرقى فيها بحسب الإفضال فيجمعون لذة شهودهم لجمال سيدهم في كل نفس من أنفاس الدهر مع لذيذ نعم الجنة فلعنبة واحدة يأكلها العارف أحب وألذ وأشـــهى من نعيم عامة الجنة فالعارف أكرمه سيده بأعظم نعيم الجنة ويحصل له سيده في نعمة واحدة أعظم ما يحصل لجميع عامة الجنة بلا قصد من العارف بل بالفضل الإلهي ويفاض عليه شهود مولاه الذي أفرد له العبودية ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾. [8] فالعارفون أفيض عليهم شـــهود مولاهم بعملهم وتفضـــل عليهم بلذيذ نعم الجنة بل بأعظم نعمها والعامي أفاض عليه الحق نعيم الجنة الناقصـــة اللذة عن مرتبة العارف بمراحل

[8] (72) سورة الزخرف.

بســبب عمله لأنه مشــهوده في داره الدنيا وأكرمه الله في نفس واحد يوم الجمعة بسماع كلام سيده ببركة العارفين ورؤية وجه ســـيده مع الفناء لا البقاء لأنه تعرض لرؤية ربه بعمله فدار له الفلك بســهمه وهو غير عابد فافهم الفرق بين العارفين في الجنة وبين عامتها تجد العامة إنما رحموا ببركة العارفين وهم عيالهم ويتبين لك أن نفس العارف في الجنة لا تقاومه أنفاس العامة كلها ســـواء كان في الأنس بربه أو في النعيم المقيم وقد علمت أن الله جل وعلا يخلق في عنبة واحدة مثلا للعارف لذة ما لا يجده أهل الجنة من جميع نعيم وجميع أعمار جنتهم فإذا تمهد هذا فقم بين يدي مولاك بالعبودية الخالصـــة من غير غرض دنيوي ولا أخروي ولا برزخي بل لما عليه من جمال وجلال الكمال تكن أســـعد الناس بمولاك ولا تغتر بزخارف الحظوظ التي هي مهلكة العابدين ومزبلة المطرودين فليكن حظك من مولاك أن جعلك آلة لذكره لا غير وإن عبده لغرض الولاية والفتح والكشوفات وأتقن فيه إتقاناً محكماً على حسب ما عند أهل الطريقة الثانية المحدثة بعد القرون الثلاثة بعد إدبار

القلوب عن الله التي بنوها على الحظوظ من الفتح والكشـوفات قصـــداً منهم لترقيق الحجاب لا غير لا أنها طريقة جادة بل هي معوجة معلومة الاعوجاج لكل عاقل لكن بنيت على الحظوظ أولا لغرض السـياسـة والرياضـة فإذا رقت الحجب وانفتحت مسـام بواطن أهلها يعرف المسـلك أهلها بسـهولة عن قصـد الحظوظ الذي هو عين الشــــرك فيتطهرون ببركة المسـلك العارف لا غير ولا تحمد عواقب أهل الطريقة الثانية إلا عند اختتام أعمارهم وانتهاءِ أمرهم فمن بقي منهم حتى يرتاض ويرده المسلك إلى الطريقة الأولى الجادة التي بنيت على إفراد العبودية لسـيادة المالك الحق جل وعلا وهي طريقة النبي صـلى الله عليه وسلم وطريق أتباعه الصحابة وأتباعهم فأهل الطريقة الثانية لا يسـمّون التابعين لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم الاتّباع الكلي حتى يتخلّصـوا للأولى لأنها ليسـت العبادة مقصـودة المحدثين لها من العارفين بل مقصـودهم إطماع القلوب المدبرة عن حضرة الله على وجه السـياسة فإذا مالت قلوبهم إلى طلب كرامة الله فطموهم منه وبينوا لهم وجه العبودية فيلتحق بعده

بالسعداء بحضـــــرة ربهم وعليه فإن أتقن العمل بوجهه يدر له الفلك بســـهم الولاية والفتوحات والانفعالات بهممهم وخرق العوائد المألوفات بأضدادها فيعظمون في العالم العلوي والسفلي وذلك جزاؤهم لأنه ما عبد الإله وربما يقطع له رأســه بســيف القدرة ويطاف به في عالم الحس فيقال هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه أعيذ نفســي وإخواني من سوء القضاء اللهم إلا إن تدركه عناية إلهية فتخرجه عن حضـــرة حسه حتى يشـــهد الحق ويتبرأ من ولايته وقوته ورجع إلى لبس ثياب العبودية بحيث لا ينازع سيده في ردائه وإزاره الكبرياء والعظمة فيكون حينئذ مراداً له جل وعلا فافهم فإنه موضـــع زلق موبق لأن كثيراً ممن أفيضت عليه الولاية بحسب عمله المتقن وهو محجوب عن الحق يتصرف بها بلا أدب حتى يطرد بسوء أدبه وربما يخيل له في حال الانفعال أنه الفاعل وأنه عين ربه فيتكلم بكلمة الكفر نعوذ بالله من ســـخطه فيهدر دمه على لســـان الشريعة محقاً أو مبطلا فلا يلومن إلا نفسه ومن تطور في غير شـــكله فدمه هدر محقاً أو مبطلا وإياي وإياك من دعوى

الربوبية فإنها رجس فالعبد عبد وجب عليه ألا يتعدى طوره على أي حال والولي هو الحق جل وعلا لا غير وإنما أفاض اسم الولاية على غيره لسياسة ملكه لا غير وإياك أن تهمل حق العبودية التي هي أصلك فتغترّ مع المغترين وأنواع المغترين كثير بل إن تجلى فيك الحق على سبيل القهر فانهض بالله لا بك مفوضاً مؤتمراً بأمره وأنت في هذه الحالة غير عابد لمولاك بل إنما حصلت على نتيجة عملك المتقن فكلما ازددت خدمة على هذا الوجه ازددت بعداً من الملك الحق فافهم واعلم أن الأذكار وأنواع العبادة المرتبة عند العلماء لملاحظة خاصيتها من صلاة ذات ركوع وسجود على الكيفيات المتوجه بها على ما قرره في إحياءِ العلوم وقوت القلوب وكتاب جواهر الخمس وغيرها وصلاة الضحى وما حكي عن الشارع من الثواب المرتب عليها وأذكار مقررة بلسان الشرع كالأسماء الحسنى المفصل كيفية التوجه بها في جواهر الخمس للشطار وشمس المعارف وغيرها وكذا الطلاسم المفهم معناها المركبة على يد الإمام الشاذلي والإمام الغزالي ومن تبعهما وأما الطلاسم المجهول

معناها كخاتم سليمان عليه السلام فحرام تناولها فكل ما ذكره العلماءُ فيها صحيح لا شك فيه وكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك صحيح لا شك فيه لكن مقصود الشارع فيه ذكر فضل الله تنشيطاً لهمم السالكين المريدين في حال طريقهم لا أنه حرضهم وأغراهم عن التعرض بهممهم لذلك في حال توجههم فإن التعرض له في حال التوجه يقدح في العبودية ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الله لتصحيح قصد السالكين والتائبين والعاصين فيصرف خطابه لكل مقام يناسبه وهو صلى الله عليه وسلم يتلون في مراتب الدين الثلاثة ومواقفه التسعة فيوجه خطابه لأهل المواقف بحسب الشفاء لكل مريض منهم فالعاقل يأخذ دواء يناسب علته من ألفاظ الشارع ولا يتصرف كل دواءٍ في كل علة بل كل واحدة لها في ألفاظه ما يناسبها لأنه هو الطبيب الحقيقي فالعاصي ينقمع وينزجر بذكر أليم العقاب فيتوب ويبدأ السلوك أولاً والتائب ينشط بذكر ثواب التائبين وهو العفو من الله جل وعلا إفضالاً منه والمخلص تزداد همته بذكر الثواب المرتب

على عمله ويزيد مجاهدة وهي خير من البطالة والمقرب يخاف ويدهش وينقبض عند سماع الثواب ولو من الشارع مخافة أن يكون من المطرودين المبعدين من حضـــــرة سيدهم فيزداد انحياشاً لجناب الحق ويســــري فيه سر كلام النبوءَة فيزيد تجرداً مما سواه ويصحح وجهته ببركة الخطاب مجرداً من الغير والغيرية فيزيد قرباً على قرب مثاله أن الصبي الأحمق بصباه إذا هرب من حضرة أمه المشفقة عليه إلى حضـــرة الصبيان أمثاله بين كبير وصغير عقل وصغير جسم وعقل فإن لسان أمه يقول له فانحش إلي وابق معي فأنا الحنينة عليك القائمة بمصـــالحك العارفة بثمـــنك لأني ولدتك فإن امتنع ترغبه بمثل بيضة ورمانة وحلواء وحاجة فتمنيه بها يا ولدي إن رجعت إلي أعطك حاجة تارة تظهرها وتارة تخفيها ومقصـــودها الرجوع إليها فإن رجع عن شراده تمكنه منها وإلا أمسكت عنه فإن رجع ما رجع محبة في أمه وإنما حمله الهلع ولا يبقى في حجر أمه وإن رجع مطمئناً لأنه إنما رجع لغرضه فإن أكل الرمانة أظهرت له الأخرى أحسن منها حتى يكبر ويعقل فإن عقل ترك ونهمته إما البقاء وإما

العقوق نعوذ بالله وإذا امتنع من الرجوع بعد المبالغة في إظهار الحاجة تتركه وهواه وربما تحرض عليه الصبيان ليضربوه ويسبوه ويهينوه محبة فيه للرجوع إليها فإن أهين أو أدمي يهرب إلى أمه للشكاية فتقول له أنت الذي تركتني وتبعتهم ليبارك لهم في صحتهم لأنك اخترتهم فإن أكثر الشكاية عليها ولزمها تستقذر له مخالطتهم وتظهر له أنها معادية لهم وهي التي حرضتهم عليه سياسة منها للبقاء عندها لأنها عاشقة فيه فإن انحاش لها وجلس في حجرها قبلته ولا تبالي بما فعله في حال صباه والصبيان وإن كانوا مبكين له يترددون عليه بالنداء للعب معهم على عادة أهل الأهواء فإن استقذرهم وعدّ[9] مجالستهم ومرافقتهم سماً بما رأى عياناً من إذايتهم له وقطعهم إياه عن حضرة والدته المدبرة له يبقى مكفولا مرضياً موصولا مع أمه وإن نسي ما فعلوه معه يخرج إليهم ويكبر معهم فاسد الطوية مقطوعاً ملعوناً في حضرة أمه وهو مولودها تحبه ويبغضها

---

[9] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "وأعدّ".

وكذلك إن خرج للصبيان وعظموه ورأسوه وأمّروه عليهم فإنه لا يرجى برءُ بلائه لأنه وجد الرياسة مع غير أمه فينقطع دائماً بسبب اللهو والصبي المنحاز إلى أمه الذي لا يألف غيرها ولا يريد الانقطاع عنها لطهارة أصله وشهامة مخبره لا يفارقها ولا يربي ألفة على أحد حتى إن جدته أو خالته إذا طلبته من حجر أمه ينظر إلى أمه لما عرف بباطنه أن أمه تحبها فإن أذنت له أمه ظاهراً وباطناً يمشي متغنجاً متبختراً مظهراً أنه لا يريد لولا إذن أمه فيبقى بين يديها لحظة وقلبه مع أمه وعينه كذلك وهو يفرفر إليها فإذا استمتعت به في قدر لحظة ينسل إلى أمه فإن منعته الخالة مثلا يبكي حتى يرجع هذا شأن سالم الفطرة فلا يحتاج إلى تمنية أمه للرجوع ولا يعرج على مثل البيضة بل كليته في حضرة أمه مستوحشاً غيرها بالفطرة فأمه تكرمه بأي أنواع الإكرام من بيضة وحلواء وثياب فاخرة تمتعاً به لا هروباً فالكبير في حضرة أمه العاقل العارف الماهر بأمر صلاح نفسه وأنه مقصور على حضرة أمه لا يمنى أصلا فإن منته أمه اختباراً يستحيي وينقبض ويخاف أن يكون صغيراً أو هارباً ممكوراً به

فيضرع ويبكي لما خاف من المكر حيث نزلته منزلة الصبي في الخطاب ويزيد قربه بخوفه من مكر أمه ما للكبراء والشهوات ((ما لي وللدنيا)) . [10] ﴿**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ . [11] ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾ . [12] فمثال حضرة الأم حضرة الحق ومثال الأم في الحنين والشفقة سيد العبد وله المثل الأعلى ومثال الهارب مثل العاصي يمنّى بالجنة ويزجر بالنار للرجوع ومثال البيضة الجنة وما فيها فإنها ما ذكرت في القرآن إلا لمثل ذلك شفاء ودواء وترياقاً لكل أحد. فالهارب العاصي عن حضرة مولاه ينكف إن سمع عقاب الله ويخافه إن سبقت له السعادة بحسب الفطرة والتائب يزيد في الأعمال الصالحات لما سمعه من الجنة والمخلص العامل عملا ينسبه لنفسه ويلاحظ في حال عمله الثواب المرتب فيزيده الخطاب

---

[10] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 6352.

[11] (60) سورة النحل.

[12] (26) سورة البقرة.

بمثــل ذكر المغفرة والقرب مجــاهــدة. والعــارف المقرب الكبير يزيده الخطاب بمثل الجنة والحفظ من النار والمغفرة انقباضـــا وخوفاً من أن يكون ممكوراً به وهو في الحضـــرة ويعد نفســه مقطوعاً بحيث لا يعول على حاله ولا معرفته بربه ولا بوصـــاله لأنه لمّا ســـمع ذكر الثواب خاف أن يكون من العاصـــين أو التائبين أو المخلصـــين فيخاف من مقام الإخلاص كما يخاف العاصـــي من النار ولا يزال يخاف من مقام ربه فله جنة معرفة ربه ممزوجة بالأدب الذي اقتضاه وهو الركون إلى مولاه والرضى بما رضـــيه من جنة أو نار وجنته لذة شـــهود مولاه وناره نار القطيعة التي هي أحر نار فيبقى بأدبه موصولاً في الدنيا والآخرة ولا يفرق بين الـدوائر الثلاث فحضـــرة الدنيا والبرزخ والآخرة على حد ســـواء عنده لأنه متمتع بلذيذ خطاب ســـيده وجماله ويحمله الجمال عن ترك الميل لغير ربه خائفاً وجلاً آنســـاً فانياً صـاحياً ميتاً حياً جامداً متصـرفاً منقطعاً عن الخلائق متصلا بهم سـاكتاً متكلماً مشـيراً عاجزاً عن الإشارة ضاحكاً باكياً عاقلا والهاً مميزاً ســاكراً فتجتمع عليه الأوصـاف كلها في نفس واحد متصـفاً

بصفات ربه متجرداً عن صفات نفسه أديباً عالماً جاهلا فتشـرق عليه أوصــاف العبودية كلها في كوة الســيادة في كل نفس من أنفاسـه فلا يحصـل على معرفته بين الناس إلا من أحبه الله لأنه متلون بتلون الخلائق كلها بجلوسه على كرسي العبودية فتحصل أنه توجه خطاب الشــارع إلى جميع الأجناس من العبيد يداويه الخطـاب العزيز بمـا يصـــلحـه ويزيـده ﴿**لِمِثْلِ هَـذَا فَلْيَعْمَـلْ الْعَامِلُونَ**﴾. [13] فالمخلص عند الســيد هو الذي يعرف خطاب ســيده بالإشــارة ويفهم من عمل لفظه ومن كل إشــارة ما يبرئ أســقام الأجناس كلها وهذا العالم حقيقة الذي يســتحق التقدم والعلم وغيره إنما يزيد ســقماً على ســقم لكنه لا يريد التنزل من حضــرة الحق إلى حضــرة الخلق اللهم إلا إذا اقتضــت حكمة ســيده التنزل فلا يكاد يحب إلا التنزل لأنه مراد ســيده ســواء فيه صـــلاحه أو هلاكه فإنه لا مراد له مع مراد ســـيده فيظهر المخالطة ويظهر المجانســة لهم ولا مناســبة إلا ما اقتضــاه الأمر

---

[13] (61) سورة الصافات.

الإلهي فافهم وكن من الشـــاكرين فإن كثيراً من الناس اختلطت عليـه الطرق فيجمـد على الظواهر والحظوظ محتجاً بـأن اللـه أمرنا بطلب الجنة بالأعمال الصالحات ذاهلا عن الطب الإلهي لقلـة الأطبة في زماننا على الوجه الأكمل أي ظهورهم مع كثرتهم مغرور فاسمع قوله جل وعلا ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِــيَةً مَّرْضِــيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ .[14] فالمطمئنة هي نفس المخلصـــين والإخلاص نهاية الأوليـاء أهل المجاهدة الملاحظين ثواب أعمالهم وقد أمرها الله بالرجوع بالانســـلاخ من التعرض للثواب فـإن رجعـت بحيـث رضيت بما رضيه مولاه سـميت راضية مع نسبتها العمل لنفسها فيجـب عليهـا التوبـة من نســـبة العمل لغير الله جل وعلا فإذا تجردت من نسـبة العمل لها متبرئة من نفسها عالمة بأن الله هو الفاعل المحرك المسـكن له هو ﴿**الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَـيْءٍ**﴾ .[15]

---

[14] (من 27 إلى 30) سورة الفجر.

[15] (21) سورة فصلت.

﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ [16] خطاب لأعز وأكبر العبيد ودخلت عائمة في بحر الوحدة وحدة الذات ووحدة الفعل وتبين لها أن الخلائق كلها فعل للحق بمنزلة كتاب مكتوب بمداد واحد واعتقدت أن تجزئة الكتاب إلى حروف وأحزاب وجمل لا يخرجه عن المدادية ولا عن كتابية الحق جل وعلا ونسب لمولاه كل ما رآه ولا يرى أحداً قادراً على حركة وسكون بل يكون كل شيء عنده هباء في شمس دخلت بكوة لا وجود له وجوداً يحصل عليه بل هو مبصر غير ثابت ولا نافع ولا ضار ويعتقد وجود الهباء وجوداً خيالياً وأنه لم يكن إلا الحق جل وعلا وأن كل ما ظهر إنما ظهر من النور الإلهي تكن مرضية عند مولاها فإذا رضيها يسحقها ويدقها دقا ناعماً حتى يفنيها لأوصافها ويميتها ويربيها بالسقي الإلهي بدخولها في حضرة صفاته وأسمائه. فإذا تنورت وتصفت وامتلأت بما أفيض عليها من حضرة أسمائه وصفاته تجلت وتقوّت لحمل

---

[16] (17) سورة الأنفال.

أثقال الســــــــر الإلهي فإذا أمرت وأودعت وختمت وانغلقت وانبرزت انتقلت للمعرفة الإلهيـة فتكون جامعة مـانعة محـاطة بســيادة ســيدها مرادة معظمة ســائرة لما لا نهاية له من بحور أنوار الكنــه الرباني فــافهم واجزم وهو قولــه تعــالى ﴿**وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ أي جنـة معرفته وادخلي في عبادي وهذا هو العابد لله لا غير فإن غير هذا عابد لهواه مســتحق غضــب ربه لولا رحمة الله عليه فعمله بالقصـد معه عين القطع لكن ســبق ما سـبق في علمـه الـذي لا يبدل أن كل من عمل عملا وأتقنه دار له الفلك بسهمه. وعليه فمن عصى الله معصية متقنة بشروطها بهمة نافذة جاهدة في المعصـية على وجه الجحود والاسـتكبار عن الربوبية يدر له الفلك بســهمه وهو غلة عمله التي هي ســخط ربه قطعاً ولا يغفر ذنبه أبداً لأنه جل وعلا حكم بأن من عمل عملا متقناً يدر له الفلك بســـــهمه وقد أتقن العمل بالجحود والاســــتكبار والتصحيح على عدم العود نعوذ بالله جل وعلا ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ**

﴿أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ . [17] وإن عصى الله اتباعاً لنفسه من غير قصد الاجتراء على الربوبية ولا جحود نعمته ولا استكبار عن سيادته فهذه معصية غير متقنة فإن الفلك لله الحمد يدور بسهم غيره ولذلك يغفر بالحسنات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ . [18] وبالندم والتوبة والاستغفار وغيره من أنواع المكفرات المروية عن الشارع غايتها أنها تأكل من الحسنات إن لم يتب منها صغيرة أو كبيرة فإن تاب تاب منها تزد على الحسنات بحسب الفضل الإلهي. فكل ما ورد أنه يكفر فإنه يكفر سائر جميع أنواع المخالفات لله الحمد لأن الفلك لم يدر له بسهمه غايته أنه مسيء جداً حيث اقتحم ما نهي عنه فيستحق سخط مولاه لولا فضله السابق وهو أنه لم يدر له الفلك بسهمه لعدم إتقان العمل وهو منغمس في فضل ربه ولذلك يحمله سر إيمانه على عدم الإصرار إلى الممات أي عدم نية الإصرار إليه بل كل يوم يحدث نفسه بالتوبة وكلما سمع كلام الله سرى فيه نوره وأما

[17] (48) سورة النساء.

[18] (114) سورة هود.

إن نوى الإصرار عليه إلى الممات فهو عين التجرء على حضـــرة الربوبيـة ولـذلـك تنســـد مرآته ولا يرجى فلاحه لأن الفلك دار بسـهمه بالإتقان فافهم. ومنه تعلم أن أهل المعاصي من المومنين المصـدقين برسـالة نبينا صـلى الله عليه وسـلم لم يكن فيهم لله الحمد من يسـتحسـن المعصـية مسـتكبراً بها على الربوبية وإن كـان مجاهراً بـه عنـد إقرانـه فـإنه خائف من مقام ربه بدليل أنه يســتقذر نفســه ويســتحي من العلماء والمســاجد فهذا كله لا يدور له الفلك بسهم الغضب وإن كان مسيئاً جداً حيث خالف أوامر سـيده لكنه غطاه الفضـل الإلهي. ولهذا لا يغضـب الحق جل وعلا على واحد من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلو غضـــب عليهم لتبـدل حكمه وهو لا يتبدل وتبدله بدوران الفلك بســهمه وهو غير متقن للمعصــية. ولذلك من ســبق أنه يدخل النار من أمته صــلى الله عليه وســلم يدخلها مرضــياً من ســـيده ولو فعل ما فعل من كل معصـــية غير متقنة فلو أتقنها لكان كافراً بل يدخلها محبوباً مرضـــياً تطهيراً له مما أســـرف حيث ربت مسـاويه عن حسـناته بحسـب ما يعلمه الله لا على

وجه المقاصة فتهيج عليه النار شفقة فتحرقه مرة واحدة ودفعة واحدة فتخرجه عن حسه فيبقى فحمة مطهراً بها حتى يشفع نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تخرج فحمة حتى يأذن نبيها إظهاراً لأهل الجنة قدر نبيها لا غير وأنه لولاه صلى الله عليه وسلم لاستمر من دخل فيها ولدخلها من لم يدخلها فإذا تبين لأهل الجنة وأهل النار ذلك السر الإلهي خرج جميع من لم يدر له الفلك بسهم الغضب فيظهر فضل الله للفريقين فيغرق الحق جل جلاله فريق الجنة في محبته وفريق الكفر في غضبه دائماً أبداً فعليك بمولاك فالمنة له عليك والزم أعتاب العبودية الصرفة المجردة من غير وغيرية تحظى .[19] في هذه الدار بما يفاض عليك في البرزخ والآخرة وتتنعم في كل نعمة الدنيا من أكل وشرب ونكاح بمثل ذلك في الجنة ولو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً فإذا تمهد هذا فاعلم بأن الله عز وجل ما ملكنا العبيد إلا لنفهم بهم عن الله وكذلك كل ما أفاضه علينا وخلقه

---

[19] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "تحظ".

ونسـبه لنا ما نسبه لنا إلا لحكمة وهي المعرفة بأن المالك يفعل في ملكه ما يشـاء واعلم بأن المالك للذوات والأرواح والأجرام والأعراض في الحقيقة هو الله جل وعلا وغير الحق مخلوق له مملوك لـه مقهور بسـيف المالك الملك لا يملك نفسـه أي جوهره فضـلا عن عرضـه فضـلا عن عمله فضـلا عن مال منسـوب له وغيره وملكية غير الحق جل وعلا ملكية ظاهرية مجازية وهو اسـتعمال اللفظ في غير ما وضـع له فملك الحق حقيقة وهو اسـتعمال اللفظ فيما وضع له أولا والواضع الفاعل المختار الحق لتقتبس من الحقيقة ومن المجاز أحكامها بالوهب الرباني وهو العقل الغير المكتسـب بـل مفاض من حضـرة الرحماني فإذا علمت أن المالك واحد لا تعدد يتضـح لك أنك أنت ومن مـاثلـك في المخلوقيـة عبـد محض لا تـأثير لـك ولا حركة ولا سـكون إلا به جل وعلا فالمملوك لا يملك مع سـيده شـيئاً نفسـه وحركته وسـكونه وكل ما نسـب لك ليس ملكاً حقيقياً لك ولذلك أمرك بالاقتصـاد في كل شـيءٍ فإذا تمهد هذا علمت أن العبد له حد يحده ووصـف يناسـبه وحده الضـعف

والذل والفقر ووصفه اللجاءُ والاتّكال على سيادة سيده فالسيد تقتضـــي سيادته الإمداد من رزق وإحياءٍ وإماتة وبعث وفعل كل ما تعلقت به مشـيئته فمن أول وهلة الملك ترتب في علمه الإمداد بلا كلام ولا ســؤال والعبد بمجرد علمه علماً حقيقياً بترتبه في ملك ســيده يعلم قطعاً من باطنه أن رزقه في يد سـيده فلا يحتاج إلى من يعلمه ذلك وإن كان من أجهل العبيد بل يعلمه بالفطرة الإلهية على ســبيل الإلهام الرباني فتجد العبد غني النفس عن التعرض لأملاك نفسه لعلمه أنه مملوك لا يملك لأنه غني بسـيده ولا يتعرض لسـؤال الغير مخافة سـيف غيرة سـيده وإن أجاعه السـيد لحكمة هذا وعليه فنزل نفسـك منزلة ذلك العبد المملوك العاجز المسـكين واعتبر فكل ما لا ترضـى أن يقابلك به عبدك المملوك ملكاً مجازياً فالسـيد الواحد الحق هو أولى به فيا سـعادة عبد اسـتعمله سـيده فيما يرجع عليه بالرضى من سيده ويا خسارته إن أهمله بعدله فذلك شؤم لحقه بنفسه لنفسه منها وعبيد الخدمة كثير فبعض يسـتعمله بفضله وبعض يهمله بعدله فالحمد للملك على كل حال فله أن يهمله

ويعذبه بترك خدمته وله أن يرحمه بفضـــله غير ظالم ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ .[20] لأن السـيد يتصـــرف في ملكه كيف يريد من غير منازع لأن ســــيادة المالـك متحدة فيجب عليك أيها المســكين أن تعلم أن أمورك كلها بيد ســيدك فلا تحتاج إلى تفويض لأن الســــيد لا يتوقف على توكيـل عبـده لأن الوكيـل أجنبي وهذا مالك ومعنى التفويض في لســان الشــارع الإقرار والاعتراف الباطني بأنك أمورك بيد ســيدك لا غير لأنك تأذن لـه كعـادة الوكـالـة والنيـابـة والتفويض منـه لا منـك ومعنـاه منك الإذعان له فإذا أفاض خير الدنيا والآخرة ونســبه لك فاقطع بأنه لا حق لـك فيـه إلا مجرد الانتفاع ثم ينقل لغير من العبيد بعدك أي بعد تصرفك فإن السيد إذا قال لعبده ملكتك أمر كذا وهو لك مقصـوده سـياسـة النماء والاعتبار لا أنه لا نظر للسيد عليه أرأيـت أنه إن بذره أليس له أن يعاتبه عليه وهو أكبر دليل عليه وما جعل شــيئه تحت نظر عبده إلا للاختبار لأنه لا يحب من

---

[20] (46) سورة فصلت.

يتجرأ عليه في الشيءِ المملك وسـيده أولى به ثم اعلم أن العبد المســـتعمل في غرس مثلا لا يخطر بباله أن العمل الذي هو الغرس له بل إذا سـألته عن نفسـه يجيب بديهة بأنه عبد لفلان يجيب بلا توان وإن ســـألته عن الغرس يجيب بلا تأمل بأنه لسيده فلان وإن كان من أجلف العبيد ولا يتصرف في الغرس إلا باذن ســـيده ويغرس خائفاً من ســـيده وربما يخرج الغرس مراراً وربما تموت الشـــجرة أو ربما لا يحســـن الغرس أو ربما ينزعه عن غرســـه ويملكه لعبد آخر ويهمله هو وحظه من العز إن كان عبداً للســـيد الكبير فإذا شـــاهد مولاه تنصـــبّ عليه صـواعق العز والفرح والهيبة والأنس فلا تسـكن فرائصـه حتى يشـاهد جمال سـيده بالتنزل والملاطفة به ويسـمع لذيذ خطابه مع قرائن الأمن منـه وهكـذا دائمـاً أبـداً وإن غرس مـا لا يعـده العقـل بـل يعتقـد أنه إن زل زلة واحدة في عمره له أن يعذبه بها إن قابله بعين السـخط وله أن يتفضـل عليه بالإغضـاء إن نظر إليـه بعين الرضـــى ولا يعول على عين الرضـــى ولا على عين الســـخط فله أن ينظر في كل نفس لأحدهما أو بهما ولا يركن

إلى حال بل يرى نفسه مقهوراً في قبضة المالكية دائماً فكن أيها الأخ كذلك مع مولاك الحق تحصل على كنز العبودية ولا فضل لعبد على الآخر إلا بالأدب مع السيادة ما لك أيها المسكين تدعي الحرية وتمن بعملك على مولاك وتطالبه بالأجرة عليه وهل رتب لك سبحانه الأجرة على عملك إلا بعد انطماس البصيرة والبعد من حضرة القرب فلا يقدر عبد أياً كان أن يطالب سيده ولا أن يمن بعمله لكن إذا تصدت المرآت تقبل كل وسخ فشتان ما بينك وبين العبودية وإن ادّعيتها أين لك العمل الذي نسبته لنفسك فأنت منه وآلة الغرس والبلد منه فأسقط الطمع من ثواب العمل فإنه لولا فضله ما وفقك له وليس من شأن العبد التعرض له بل من شأنه العمل مع الخوف منه فلا يرى نفسه أهلاً للعمل فضلاً عن الأجرة لكثرة العبيد الذين تظن فيهم عندك الأهلية فأهملهم واستعملك أنت فتمن عليه بنفسك وأنت مخلوق له وما باشرته من العمل فالعبد إذا قال لسيده المجازي أعطني الأجرة فقد أساءَ وادّعى الحرية حيث طلب الأجرة فالدنيا والآخرة والبرزخ إنما هن ديار الملك

وأنت عبده فالسيد جل وعلا لا يسكنها لاستحالتها لأنه غني عن المحل والزمان والمخصص وإنما خلقها لك فاستعمل الأدب معه ولا تراع الديار ولا ما فيها فإنما هي مقهورة تحت تصريفك خلقك منها وأوقفك عليها وأطعمك منها وألبسك منها وزوجك منها وأركبك منها رغماً عليها فلا تحبها إلا على وجه محبة العارفين النعم منه وهو أنهم يعتمدون على سيدهم ويعتقدون أنها هدية معظمة مرسلة من السيد لهم فيتسارعون لها لأنها بركة الملك عظمهم الملك بها فيعظمونها كما يعظم صاحب السلطان كسوة سيده ويرى لها احتراماً ويقوم بشكر السيد من غير مبالاة إلى نفس النعمة وإنما يعظمها باعتبار سيده ويتصرف بها على الوجه الذي أهديت له مراعياً حق السيد مراقباً له في كل حال لأنه يحب أن يرى أثر نعمته عليه فيسارع في حفظها من الآفات والأوساخ ليحفظ وجهه مع سيده لا غير ولا يعشق النعمة كما هو شأن الضالين فإن العاشق ينسلب عقله بالمعشوق فإذا عشق النعمة سقطت حرمة المنعم بين يديه وهو مهوى الهلاك. فمثال النعمة مثال ملك قاهر عظيم الخزائن

والعبيد أرسل لبعض خاصته ما يأكله وما يشربه وما يلبسه وما يركبه وما ينكحه ولعظم حظوته عند سيده أرسلها له على يد أعز مملكته مصحوبة بكتاب كتبه السيد بيده تعظيماً له مشتملا على تعظيمه والسيد يبجل عبده بأنواع لذيذ الخطاب مثله رحمة منا ورضوان على عبدنا الكبير الشأن فلان وبعد فقد بلغ قدرك عندنا حتى كتبنا لك كتابا بيدنا على خلاف عادة الملوك لحظوتك عندنا وبعثت إليك عبدنا الذي بحضرتنا لا يفارقنا ولا يدخل علينا أحد إلا به وهو الذي اصطفيته بفضلي لخدمتي على سائر مملكتي وبعثته بالكتاب الذي تناولته بيدي ونزلت مرتبته لخدمة حضرتك السنية وعليه فبمجرد وصوله أكرمه وأكرم كتابه بقراءته تعظيماً وبفهم ما فيه واعرف حق المرسل لك فإنه أعز العبيد لدي وهو الواسطة لجميع مملكتي فافهم وبعده فاقدم لحضرتنا ولابد بصحبة حامل الكتاب فإنه عارف كيفية السلوك وعليه مهابتنا وجلالنا محرراً ما في كتابنا من الإشارات والآيات لأولي النهى البينات فخذ منا ما وجه لك من النعم فاستعن بها على السلوك لحضرتنا السنية فاعلم أني ما

أرسلت إليك إلا لتحضــر حضــرتنا دائماً على عادة كمال أهل دولتنا إجلالا للرســول الذي أرســل إليك وإياك أن تتراخى فإنه عين الطرد وإياك أن تغرك النعم التي أهديت لك لتســتعين بها على الســير إلينا فتكون من المغرورين بالنعم فتطرد عن مقام الحظوة فإن فعلت ولم تصحب رسولنا ولم تكن عند إشارته ولم تكرم رسالته بامتثال أمره واغتنام صحبته تكن عندي من عبيد المحنة دائماً ولا أبالي فإن أتيت اســتقلالا بلا صحبة الرسـول فـإن أعداءَك يقطعونك عني بتزيين النعم بين عينيك.[21] فتغتر بها فيصحبك المقت كما صحب من جحد كتابي ورسلي ولم يكرموهما بمتابعتهما فقد حكمت على نفســي أن كل من لم يمتثل أمري ولم يقدم مع رسـولي بالفرح والشـوق لحضـرتنا إذ كنت أنا الســيد ورغبتك وطلبتك وأكبرت شــأنك بالكتاب إليك وبالرسـول وأنــت مســتمر على الإباء وكرهت حضـرتنا وكرهت حضــرة رســولنا وكتابنا فانظر ماذا يلزمك عليه فإني

[21] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "عينك".

حكمت حكماً لا يبدل أن أوجه رســـولا منا معداً للغضـــب والإغاظة والنكال فيجرّك إلي رغماً على أنفك ذليلا مهانا مغضوبا عليك ولا أبالي فإنك قد تعديت طورك حيث أنفت[22] منّا واســـتعملت نعمنا فيما يبعدك منا فعن قريب يظهر أمرك فتكرم بإكرام لم تعرفه ولا يخطر في قلبك إن امتثلت أو تهان إهانة لا تخطر في بالك ولا طاقة لك عليها إن خالفت فاقرأ كتابي بقلبك وكليتك فلا أعذرك بجهل ما فيه لأن الرســـول بيّنه لك وإياك ثم إياك من الاغترار بغيرنا فإنك ملحوظ عندنا مكســوب لنا ولا حق للغير فيك اللهم إن أردت الهلاك بالبيان فلك الخيار في إصلاح نفسك وإهلاكها وكم أهلك نفسه ممن قبلك عظمتهم وأرســـلت إليهم نعماً منا فعشـــقوها فأتلفتهم عن خدمتنا وســيادتنا وقد بلغ بعضهم بسببها دعوى الســيادة والحرية تعالياً وتكبراً وطغيانا عنا وإياك أن تكون مثلهم وكم من عبد أرســلت له وامتثل فقرب معظما مكرماً بما لا يخطر على قلبه فضـــلا أن

---

[22] أنِفَ: تَقَزَّزَتْ نَفْسُهُ من الشيء أي تَنَزَّهَ عَنْهُ، تَرَفَّعَ عَنْهُ.

يعرفه أسلم تسلم وإلا فلا فامتثل أمرنا فمن نسينا نسيناه ومن تأدب معنا أغنيناه ومن تجرأ على كتابنا أهلكناه فذلك عادتنا المستمرة إلى الآن وإياك أن تسلك سبيل المغضوب عليهم من اليهود أو سبيل الضالين ولا سبيل من أنكر وجحد وجودنا وقهرنا وقد بالغت في الأعذار فقد أعذرتك نجماً على نجم فكلما رجعت قبل نزول غضبنا قبلناك لكن نزول غضبنا غير محقق عندك فامتثل بالفور مع الكتاب أول وهلة وعظم أمرنا كما أمرك عظمناه مع أنك عبد مملوك لا طاقة لك على شيءٍ وإنما اصطفيتك بالخطاب وناديتك بكل ملاطفة لتكون سعيداً فالسعادة ما علمته لك سعادة لا ما تعلمه أنت فاقدم أدبّر لك واترك معي تدبيراً وإياك ثم إياك من البعد عنا فإنه عين الهلاك وقد ناديتك وأمرتك لحضرة جمالنا وبالغت وأطنبت لك في الكتاب وكررت ما لا يجب تكراره وعظمتك بما لا تستحقه فافتح عين بصيرتك واعرف بأنك عبد مطلوب للحضرة فنفرت فسامحت مرة بعد مرار والسلام من سيد عظيم قاهر غالب على أمره مالك كل رقبة شديد العقاب غافر الذنب مؤرخاً

بتاريخ بلوغ العبد التكليف والقوة والشـــدة والفراســـة لخطاب ســـيده ونحن عنك أغنياءٌ وعن غيرك لا نســـألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقين، ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ [23]. فبما رحمة من الله لنت وكن عبداً مطيعاً لأمر ســيده فتنبه أيها المســكين من ســكرتك التي تقلب لك الأعيان بالأضداد فتنظر السماء تحتك والأرض فوقك لما فجأك من سـكر غمرة غفلتك عن مولاك فقد ضـبعك إبليس بمثل ما ضبعته حظوظ نفسه لما ترأس على أهل الجنة مائة ألف واثني عشــر ألف وخمسة وعشــرين عاماً ومثله في السماءِ ومثله في الأرض يعلم الملائكة معرفة الله ويقررهم التوحيد مما علمه من شــبه القرب من ســيده فعظمه سيده بالرياسة الملكية والملكية فضـــبعتـه الحظوظ مع مولاه جـل وعلا حيـث بنى أمره على الإجارة على العبودية فســرى ظلام الحظوظ وســوءُ الأدب في كليته فتجبر بما نزل به من هواه وتمرد على ســـيده وعلى عبد

---

[23] (128) سورة التوبة.

ســـيده فأبدى ما عنده من الغلظة بســـبب الولاية على عبيد سـيده وفسـق بطغيان النعم وانقلب أدبه وحاول لباس سـيده يتصـــــرف بلا إذن من سـيده فظهر ما كمن من خبثه وسـوء طويته فلما انجلى أمره واتضـح فسـقه في العوالم كلها انقلبت صورته وصارت عين النجاسة الغليظة بسبب حظوظه فاختبره سـيده وهو أعلم به يوم ملكه ولم يرض بقضـائه وزاده سـيده نعماً على ما عنده ليهلكه استدراجاً على عادة سيده مع كل أحد إن الكلـب العقور لا يؤخـذ إلا على النعمـة فرش له بالنعم ليكبر ويزيد علوه على سـيده واسـتكباره فبقدر الصعود يكون الهبوط فأظهر سـيده لصـفوة مملكته عنده ظاهراً وباطناً إني خالق آدم من تراب وجاعلـه عليكم خليفة نقمة على المغتر الذي لا يعرف نفســه فأعماه الجهل على الرجوع لســيده إبليس فرضـيت الملائكـة وأذعنـت قبـل ظهوره وبايعـت وعزلـت رقبـة الظـالم الجاحد امتثالا لســيدها لما فطرهم ســيدهم عليه من آداب

الحضـــــــرة. ((**رب مبلغ أوعى من الســامع**)) [24] فقرر إبليس الملائكة معرفة ســـيدهم فوعتها وطحن هو بســـيف المكر لما تعرض له من عدم إقامة الوجهة لسـيده بل يعبده لغرض نفســه فلما حصـل عليه في زعمه ظهرت لوازم باطنه فأظهر الحق جل وعلا صـفيه خليفة عنه في سـائر الأحكام الملكية وأقامه مقامه في إفاضـة ما يريد جل وعلا أن يمد أهل مملكته ظاهراً وباطناً فيســيل منه ما سـرى إليه من الأمر الإلهي إلى أهل دولته جل وعلا ترتيباً لســياســة ملكه على وفق ما ســبق به علمه اعتباراً للقدرة الباهرة والســياســة القاهرة فهو المنفرد بالملك والملكوت فلما برز صــــفيه أمر ملائكته بإظهار المبايعة له بمثل المبايعة قبل ظهوره بعد تعليمهم ســبب فضــله وهو أنه علم من ســيده ذوات ذرات الوجود الإلهي وعلمه في طينته ترتيب الملائكة وظاهرهم وباطنهم وما يراد به وســــائر خلقه فانطبع ذلك العلم اللدني في طينته فصـــار العلم ذاتاً له فعلمه ســـيده أســـماءه

[24] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 169/2.

وخواصـها ولوازم التصـريف بها فأظهر الصـفي طلب المبايعة بما تجلى به ســيده فبويع مما ســوى إبليس الرئيس قبله فإنه تجبر على أمر سـيده فاستكبر كل الاستكبار فظهر ما انطبع منه في أول نشـــأتـه ورد الكلام على ســـيده بعدم قبوله العزل وعدم الرضى بجلوس آدم في كرسي الخلافة فراوده سيده فقال اللعين في جوابه لا أذعن له ولو تحرقني بالنار على عادة النفس الخبيثة فصـــدق عليه أنه طلب النار والعقاب من ســـيده فأجابته غيرة ســـيده وعزتي لأخلقنّها لأجلك ولأعذبنّك بها عذابا لا يعذب به أحد ولتكوننّ أسـوة لكل من تمرد على أمر سـيده فقال اللعين رضـــيـت بالنـار فهي أحلى من ولايـة من خلقتـه من الطينـة يتصـــرف في فلا يقال علي أنه عزل بسبب الطين فأقسم عليه ســـيده إن لم يرجع من عتوه حتى يهلكه بإخراجه ومن تبعه في حضـرة قدسه فاستحلى الطرد واللعن والنار والخروج عن سهم الرحمة بما زين له ظلامه الذي نشأ من حظوظه مضـــربا على أن العبد لا يريد مع ســيده شـيئاً فأراد لعنة سـيده به برياسـة الحكم فطرد فصار قبلة للهالكين بالحظوظ مع السـيد وهو إمام

كل من يعبد الله على حظ نفسه فإن أصابه خير لنفسه مناسب لحظه يفرح وإن أصـــابه قدر غير ملائم له انقلب على وجهه فخســـر بما خســـر به إمامه. فإذا تمهد لك أن كل عابد للدنيا والآخرة فهو مقلد في عبادته إمامه المطرود المســـلوب خير سـيده فلا يجيءُ منه شـيءٌ لأنه إمامه يجد مسـاغاً ويجد معه نجاســة لأن إبليس تنجس بنجســة الحظوظ فلا يعيش إلا في نجس الحظوظ للمناسبة ولأنه ولي على من شابهه في الحظوظ متصرف فيه لأنها نهجه وسـبيله ومواضع عطبه فيعطب بها كل ذي حظ من أولاده الجن أو من أولاد من عزل من رياسة آدم عليه السلام فقد حلف يميناً مغلظاً على سيده لسوءِ مخبره أن كل من عبد ســـيده من أولادهما حتى يدخله مدخله قال له سـيده لك ذلك فإني أغنى عن الشـركاءِ فكل من شـركني في عبادته بحظ نفسـه أعذبه مثل عذابك فرضي إبليس فأمر سيده أن يختبرهم ظاهراً وباطناً فمن ناســبه في أصــل هلاكه يزلزل

بخيله ورَجله . [25] وأعطي تشكلا على عادة أهل فطرته يتشكل في ظواهر العابدين وبواطنهم فيحمق كل من كان على شفا الهلاك بعدم رضاه بأمر سيده فزين لهم مثل الرياسة والعظمة والحقد بجلب الانتقام والغضب والغش إلى ما لا نهاية له من لوازم الحظوظ النجسية فيسكن له بجيوشه وخيله بساتين باطنه فيوسوس له بالزلازل والصواعق النجسية فزين له أمره وذاته ودينه ويصغر له غيره من عبيد سيده فيحتقرهم ويعز الغافل المضبوع المحمق بهوى نفسه من الحظوظ نفسه وكبير أمره فيمتلئُ باطنه بغضب سيده وسخطه وبسخطه يريد استعلاءً على عبيد سيده فلا يزال إمامه يربيه بصغار المخالفة لأمر سيده حتى يزين عظائمها فيضحك عليه بأنه شيخه ينفعه فيخلصه فلا يبرح عليه حتى يزين له عدم الرضى بحكم سيده

---

[25] ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

وأنه حر لا حكم لسـيده عليه ويتبرأ منه ويقول له إنما وجدتك ممتلئاً بنجاسـة الحظوظ المنسـية عظمة السـيد فنخسـتك فتبعتني ولا تـأثير لي ولا قوة ولا طبع يمنعـك عن السـلوك لمولاك وإنما من باب الذيب الأبتر يحب أن تكون الذياب كلها مثله فافهم عن الله وطهر نفسـك من رذيلة الحظوظ فإنك إن فعلت فلا يجد المطرود المعرض للإغواء محلا نجسـا فيك فيجد النور فتقتله رائحة الإخلاص وتنفر جنوده عنك فيسـلم قرينك كما أسـلم قرين الصـادق صـلى الله عليه وسـلم .[26] فيعينك على ما أنت بصـدده من الإخلاص وتشـرق مرآتك بصيرتك وتنفتح عيونها كلها فتنظر بها سيدك وتحيط بها بذرات عبوديتك فتنخرق ذاتك بأوصـاف مولاك بصـحة توجه جميع أركانك بالتعلق بربوبيته فتعبد بشعرك ولحمك وعظمك وروحك

---

[26] قال ﷺ: ((**ما منكُم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بهِ قرينُهُ منَ الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: وإيَّايَ إلَّا أنَّ اللَّهَ أعانَني علَيهِ فأسلَمَ فلا يأمُرُني إلَّا بخيرٍ**)).

الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2814

من غير شــاغل عن ســيدك فتحظى بالإمداد الإلهي من غير تعرض له ولا قصــد ولا خطور لعظمة جلاله فلا يخطر ببالك على سبيل الذوق أنك عابد ولا عامل ولا مستحق شيئاً على ســيدك لما دهمك مما عاينته عبوديتك من الفناء الصــرف والجمود اللازم فيغرقك ما شــاهدته في بحر العبودية فتكون عبداً حراً لا قيمة لك ولا تزنك السماوات والأرضون لما كنت عليه من وصــفك الأصــلي كما خرجت من بطن أمك فتحبك العوالم كلها لضعفك كما تحب الصبي يوم برز لأنه لا بشرية فيه فما من واحد إلا ويحب أن يقبل الصبي ويضمه لصدره لما عليه من الفناء في بحر الضــعف وهو لا يشــعر بمن أحبه ولا بمن كرهه بل اندكت مراســمه بضــعف أصــله متوجهاً لربه فعلامة العبودية أنه لا يحب شيئاً ولا يكرهه ولا يدفع عن نفسه بل هو في قبضــة الســكر الإلهي موجهاً لها ميتا لها فإن أحس بالحرارة يبكي من غير قصد فلا مطمع لك في الرجولية التي هي محض العبودية حتى تندك مراسمك بالضعف كالصبي يوم زاد فافهم فعز العبد الضعف والعجز والانسلاخ عن نفسه وعزه وغناه بربه

فعبد الغني لا يتحمل مشاق الهموم في أمر الرزق وعليه فالعبد البكاء وهو الذي لا يرضى بحكم سيده على أي حالة نزله يتسخطها يغضب سيده وينزله من مقام حضرته عنده لأنه لم يرض أن يكون عبداً بل يتحسر على الباس وهيئة سيده المالكية له فيترتب عليه غضب سيده فيمهله حتى يأخذه بالكلية بالقهر والنكال ولا يبالي لأنه تعدى طور العبودية بزعمه فافهم وعليه فالعبد يقدم حق سيده ولا يشتغل بنفسه إلا بإذن سيده فإن أمره سيده امتثل محبة وشهوداً لحلاوة أمره فلا يصعب عليه شيء من أوامر سيده ولو فيه حتف أنفه بل يتلذذ بالأوامر وينقبض بالإهمال طبعاً من غير قصد بل بفيض إلهي لأنه لا حق فيه لنفسه فيلاطفه سيده بأنواع التعظيم ولذيذ الخطاب وإفاضة بحور أسمائه وصفاته عليه فيقوم لأمر سيده بكليته مؤيداً بأنوار ربه فيعبده في نفس واحد بأعظم عبادة جميع العامة فينوب عن العامة من العبيد في أداء الحق المالكي فتعطى له مؤونة تصلحه أعظم مما يخرجه لبقية عامة خلقه لحسن طويته وفراغه من نفسه وامتلائه بربه فتنفعل به الأفعال

الإلهية من غير شعور ولا قصد فتظهر له لوائح بوارق الحب الإلهي فينتعش انتعاشاً قوياً بربه فيسلب خلعة الأسماء ويحلى بسكر بحر العمى الرباني فتصير بحور الأسماء طوع يده مجرداً من لوازمها حتى يرد إليها فيعام به في الطمس مطموسة حواسه بسيده فإذا أفاق من سنة سعادته صار جبلا راسياً راضياً مرضياً كاملا ناقصاً عند نفسه جالساً على كرسي واحد من كراسي عبودية سيد الكاملين المكملين صلى الله عليه وسلم سيد الكل وإمامهم التي عددها بعدد العارفين من أمته ومن الملائكة الغير المتناهية في علمنا فإذا أجلس على كرسي نبيه أفاض عليه سيده قوة نوره حتى يشهد به لوائح بوارق سماء نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيعلم أنه حقاً إنما يعبد الله بنور من جلس على كرسي عبوديته فيعرف قدر نبيه بما لبسه من مرتبة نبيه وتيقن أن روحه التي توجه بها عين نبيه فيلقي السلاح لوساطته جازما بأنه عاش في ظله لولاه لبقي عدما قبل وجوده فتأدب بآدابه صلى الله عليه وسلم ويتحرك بحركته بحضرة ربه فيسمع صلاة ربه عليه بجميع قوى أركان

سر ذات مرتبة نبيه فتخلع عليه حلة نبيه بحسب ما قسم له منه فيميز وسـائطه بينه وبين نبيه فيعطى لها أحق دوائره فيتمنى حينئذ إذ رأى ظليته أن يكون خادماً لأمته بما اقتطفه بعناية ربه فترجعه حجابية نبيه للشـفقة على كل خلق بحيث لا يميز إلا فعلا واحداً لربه ويكون مركز نكتة صـفاء قلوب خلقه مبايعاً لنبيه بيعة العقبة العرفانية فيا لك من عبد إن سـلكت مسـلك التوحيد توحيد العارفين بإحسـان الوجهة في الشـئون كلها ويا لك من ضـال إن أشـركت حظك بعبادة سـيدك فافهم ترشـد وإياك أن ترضى أن تحط عن درجة أهل الإقبال الكلي لحضـرة قبلة سـيدهم فمن أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه وأقبل معه جميع خلقه وقد علمت قبل أن كل خطاب ورد مما يرشـد لطلب الثواب على العمل إنما يسـلك به مسـلك الصبي الهارب من حضـرة كافله وأن كل ما ورد عن نبيك مما يرشـد له فإنما هو من باب التربية بصغار العلم قبل كبارها فإنه أمر أن يخاطب الكافرين بما يفهمونه ويسـتقذر لهم حظهم الذي هو صـنمهم واعتقادهم الفاسـد من نسبة الولد له جل وعلا وغيره مما يرشد

لسفاهتهم بقتل أولادهم إملاقًا .[27] وغيره لعلهم يرجعون وأن يخاطب العاصين بما يقطعهم عن المعاصي بإنذار وتبشير وأن يخاطب التائبين بما لهم من النعيم المقيم ليثبتوا على الطاعة وأن يخاطب المخلصين بما يقطعهم عن ملاحظة الثواب بعملهم وأنهم ليسوا أهلا له لولا فضل الله جل وعلا وأن يخاطب أول المقربين من الدرجات الأربعة لما يرشدهم لنفي نسبتهم العمل لأنفسهم وأن لا تأثير لمخلوق أياً كان ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ .[28] وأن يخاطب خاصة المقربين من الدرجة الثانية بأنهم ما امتثلوا أوامر الله بأنفسهم ولا اجتنبوا مناهيه بها بل بمحض فضل اصطفاءي ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ .[29] وأن يخاطب أهل الدرجة الثالثة من المقربين بأن الشوق هو عين الإرادة والإرادة حجاب عظيم وأن المشتاق

---

[27] ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا**﴾ (31) سورة الإسراء.

[28] (96) سورة الصافات.

[29] (17) سورة الأنفال.

لازال مع بقيـة وأن يخاطب أهـل الـدرجة الرابعة بأن اللذة التي حصـــلت لهم بعبادة ربهم ليســـت منهم بل منه جل وعلا وأن يخاطب العارفين الموحدين بأن الله وحده في ذاته وصفته وفعله فلا تعمّل لأحد في توحيده بل هو الذي وحّد نفسه جل جلاله فلا يحتاج إلى من يقول هو واحد ولا من يقر به ولا من يفوض لـه ولا من يتوكل عليه فهو الغني المطلق هو الصـــمد عن كل شـــيءٍ فيغنيه علمه بكماله بلا مكمل ولا من يقول كامل فيتفرغ العـارف عنـده من كـل قوة وحول فيزهـد عن نفســـه فانياً بربه ويزهد عن توحيده وتفويضــه وتوكله وتســبيحه وتقديســـه غير معول على عمله ولا عبادته مضـــربا عن الغير والغيرية آيساً أن يصله شيءٌ لم يقدّر له أو عليه راضياً بقدره فحينئذ يكون عبد ربه حراً بنبيه واقفاً بربه متحركاً به بين أصابع ربه مقبوضاً بقبضته مكفولا برعايته عائشـــاً بكنفه مفرغاً من كل علة تائباً لربه ثم لا يزال نبيه يخاطبه بأن حضـــرة ربك أمامك فجد على ما كنت عليـه من الجمود كجمود القلم بين يـدي الكـاتـب فخطـاب صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم يظهر مظاهر مراتب أمته

وهو خطـاب واحـد وهو إفراغ القلـب من الغير والغيريـة لكن خطابه أولا بحسـب تهيئته شيئاً فشيئاً حتى يصلح للفهم الرباني فإذا علمته بتأمل عرفت أن الشـــريعة متحدة لا خلاف فيها ولا غبـار عليهـا وأن المجتهـدين كلهم على حق وأن جميع أقوال العلماء تفسـيراً أو أصـولاً وفروعاً ومعقولا ووسـائل لها من نحو وتصريف وغيره من جميع خدام الشريعة مرجعها إلى قول واحد وهو الدلالة على الله بحسـب ما تجلى صاحب الشرع في قائله بكونه صـــلى الله عليه وســـلم ظهر فيه مظهر مقام من مواقف الدين التسـعة فمن كان شـرب من حقيقة صاحب الشـرع مقام التوبة فلا يفهم من الشـــريعة إلا مشـــربه وتجده يبالغ في تحرير المســـائل محاولا أن يطبق جميع ألســـنة الشـــريعة على مقامه فيفني عمره كله في الأجوبة والاعتراضـــات وحل المشـــكلات عنده ويعد مجلســـــه مجلس التحرير وغيره ممن فوقه لا تحرير فيه ويعارض بين النصـوص الشـرعية قصـد نصـيحة الأمة فلا يحصل من الشـــــريعة إلا ما ذاقه فيقيد ويعمم بحسب اجتهاده وهو صادق في ذلك كله فإنما الشــريعة جميع ما تحته كطبقات

الجنـان الثمانية فمن كان أســـفل الجنة لا يطلع ومن كان فوقه يســتغل ومن كان في الثامنة أعطي السراح في الجنان كلها ولا ســبيل لمن ســفل لما فوقه ليظهر التفاوت والتمايز والتفاضــل بحســب الأذواق في الأدب ومن جلس مجلس الموقف الثاني كذلك فاعلم أن الشــــــريعة ذات واحدة لها عين قائمة بأركانها كسـاق شجرة تفرعت منها غصون متعددة بحسب الغلظ والرقة ولهـا ثمـار مختلفـة وأذواق مخـالفـة فمنزلـة المجتهـدين إطلاقـاً كغصــون الشــجرة الكبار التي تفرع منها غصــون متعددة ومثل العلماء غير المجتهدين كمثل غصــون رقاق مدركها رقيق لطيف لا يدركه إلا أهلها لرقتها والغصــون كلها مآلها للشــجرة والشــجرة مـآلهـا للماء وهو الذي انزرع فيها جهد روحها فمثال صـــاحب الشـــرع مثال الماء والماء منزل من الله جل وعلا ليطهر به من رجس الكفر والمعاصي والحظوظ فالمعصية على أقسام مغلظة هي الكفر مبني على الجحود ومتوسـطة هي المعاصي مبنية على اتبـاع الهوى لا الاســـتكبـار على الربوبية وخفيفة هي الحظوظ مبنية على طلب الثواب الذي هو من شـــأن المســـتأجرين لا

العبيد فالمعاصـــي للســـيد من حيث هي مذمومة مطردة من حضـــرة الحق فمن قوي مدركه من كبار العارفين ينظر ببصيرته إلى جميع الشجرة ويغترف من أصلها ويوجه كل ذوق إلى أصل غصنه ويفهم أسرار الشـــريعة كلها ولا يبقى عنده نوع خلاف فيعبد الله عليها كلها من غير تنزل عن مقام عزيمته ومن لا ذوق له إلا في مقامه يتكلم بحســبه لا غير وينصــف وربما يشــغله العلم عن العبودية والمطلوب منه أن يتقن عمله بإحسان الوجهة لمولاه فينقله بحســـن أدبه لما هو أعلى فإذا رقى يرى ما دونه جهلا محضاً حتى يوصله له ولا يتحقق بما بيناه ويصدقه إلا من أعرض عن نفســـه كل الإعراض وأقبل على مولاه كل الإقبال فإذا استولى عـــلى عين الـــشريعة بانسلاخه عن نفسه وزهد عنها بحيث لا يحبها ولو طحنت بأرحية الأقدار يتبين له ذوق ثمار الشـــجرة الربانية فتكثر الواردات بحســـب أذواق غلتها فينبعث عنها اسـتعظام نعمة المنعم فيشاهد سيده في كل ذوق كرؤية وجهه في مرآة فينظر محاســـن الألطاف والأقدار فيرى قدراً كالجبال تسـقط عليه فيشـتاق للاندقاق ويفرح بالمراضـخ

الإلهية كما يفرح صاحب الحجاب بالجنة فكلما جاءته لجة تعرض لها تلذذاً وإبراداً بإذلال نفسه لمولاه ولا يرى راحته إلا في الصواعق والعتاب علماً أنه ليس أهلاً للانبساط فيفرح بعذاب حبيبه علماً منه أنه ما عذبه إلا ليقربه فبقدر الجلال يكون الجمال فترى صاحب عين الشريعة يصدق كل قول ويعده صحيحاً ويستغرب مدركه حيث كان في المقام الأدنى ويشير بعبارته لمقام من فوقه فترجع الشرائع عنده شريعة واحدة والأنبياءُ ذاتاً واحدة يجمعهم مقام الدلالة على المولى جل وعلا وتصير عنده الطرق طريقة واحدة لتوصيل كل طريقة إلى الحضرة القدسية ويرى الشيوخ كلها ذاتاً واحدة لقيامهم بالدلالة على الحبيب جل وعلا سبحانه ما أجله وأعلاه وأظهره وأخفاه ويرى المومنين الموحدين من آدم إليه ملةً واحدةً ويصور كورة العالم بمنزلة ذات واحدة موجهة لسيادة مولاها ذليلة خاشعة مطمئنة مرتعدة خائفة عابدة متبرئة من الحظوظ الجوهرية معترفة بالمملوكية راضية بصواعق سيوف الأقدار المالكية فيتحرك بتحرك الكورة ويعبد معها موصوفاً بذلتها فينصبغ

بانصباغ عبوديتها فيصار شعرة من شعراتها فيحصل له فضل جماعة شعراتها لمقام التعاون فيفاض عليه في كل رعدة فيوض سائر أخواتها من أعضاء الكورة لأن الكورة بمنزلة ذات رجل مركبة من أجزاء متوقف بعضها على بعض فكل جزء يمد جميع الكل ويفاض على الجزء ثواب الكل لمقام التعاون مع قصد الجزء ذلك ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى**)). [30] فإذا فهمته علمت أن بركة العارف ممدة لسائر الأكوان وأن الأكوان كلها ممدة له للأخوة في التعاون على التعلق بالربوبية وأما الجاهل بهذا فلا أخوة مع الكورة ولا معاونة بحسب نيته فلا حظّ في ثواب الكورة جزءاً وكلاً فإذا تمحضت لمولاك يمدك الوجود كله وتمده ويعطى لك مثل هذا فإن نويت النيابة عنه في تحمل الزلازل الجلالية تعطى ثواب من أسقط فرض كفاية عن ذرات الوجود وتحظى بمحبتك أهل عبوديته ويتوجك بتيجان رؤوس أهل مملكته فترزق عز السيادة

---

[30] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 1.

الإمدادية فاعلم أن العبد ليس من شأنه الطلب بباطنه إنما شأنه التضرع بظاهره معولاً على خزائن سيده مستسلماً لأمره فإذا طلب يقول لسان سيده أقبل على شأنك فإنك بمرءا مني فلا تحتاج لإرشاد لحوائجك فاشتغل بما طلب منك من الخدمة والأدب فإنما أنت آلة للخدمة لا غير فلا يغرنك أن تعاميت عليك في حال الإساءة وفي حال العجز والكسل فمقصودي فيك أن تفني أوقاتك بالخدمة التي ملكت لها وليس من شأنك أن تباسط السيد ولا أن تلبس إزاره ورداءه من أوصاف السيادة فإن أقبلت على شأنك تصلك نفقتك التي ضمنتها السيادة يوم ملكت وأقبلك ولا أبالي بعد أن قربتك بعمل بل أعظمك من بين الممالك فيعظم أمرك عندي وشأن العبد أن لا يحوج سيده إلى أن يقول له افعل كذا لأنه عرف خدمته يوم ملك ففي وقت الحرث يهيئ للحرث بلا أمر لأنه أذن له فيه بالملك وكذلك بقية الأسباب وينسب حوائج سيده لنفسه ممتلئاً قلبه بسيده وخزائنه من غير تعويل على الخزائن لأنه لا حظّ له فيها إلا بالملك فيمتلئ قلبه بمحبة سيده ولا ينسب

الكمال إلا له لأنه مالكه ولا يرى فضلاً لأحد عليه إلا من حيث الوساطة من سيده فيعظمها جريا على الأدب مع سيده الذي أرسله له فيغضب بغضب سيده ويفرح بفرحه ويحب كل من نسب لسيده ولو ريحه وبلده وكلبه فتجده يعظم كلب سيده وينسبه لنفسه ويغار لكلب سيده فلا يتركه لأحد ولو الموت عليه لأن من أهمل كلب سيده فقد أهمل شأن سيده ومن جملة الشئون جميع ما نسب له فيعد كل من يعظمه من صاحب بمنزلة سيده لسيده ولا يرى كلب سيده إلا بعين الإجلال والمحبة فيفنى في حسن كلب سيده مضربا عن خلقته ولو مشوهة بل يستحسن كلّ ما ثبت لسيده فيمتثل أوامر سيده بحيث لا يشتغل ببشريته ولو كان مرجوماً ببول أو غيره حتى يرضى سيده وأشار له بالراحة تصريحاً أو تلويحاً يفهم أمر سيده لأنه فانٍ في سيادته فلا يرى عزاً لنفسه خارجاً عن خدمة سيده بل عزه محصور في نسبته لسيده العظيم الشأن فيشرف بطاعته ويتجنب البطالة فإنها سبب المقت والإهمال فيزين العبد نفسه بالنظافة ويجمل هيئته بنعمة سيده

التي أفيضت عليه منه فإنه يحب أن يراها عليه حال المشاهدة ولا يهمل نفسه بالمقت بالتقشف مع فيض مدد سيده عليه فإنه سم فإنه يظهر إضاعة سيده له ولا يشتكي لأحد ولو ضيقت طرق النفقة بل ولو تتابعت عليه مقامع سيده بالنكال بل يصبر ويعرف أنه شأن العبيد ولا ينزل حاجته على أحد لأنه لا حاجة له وإنما حاجته حاجة سيده فليترك لسان المملوكية يتكلم مع حضرة إمداد سيده فإنه مقبول بالإحسان والإفضال ولا يطمئن بحالة ألبسها بل يخاف من سيده من أن يعريه من العمل بحيث ينزعه من عمل الخدمة ويولي غيره أو يجرده عن عزه الذي له السيادة بسيده فيخاف أن يخرجه عنه ويطرده فهذا أدبه فمن قدم أمر نفسه على أمر سيده فقد أخسر الميزان وذلك قلب القضية وقلب البرادة .[31] معناها أنه عمل برادة سيده فوجد ماءً وأراد أن يسقيها فقلبها للأرض فإنه لا يملؤها ولو بقي مائة ألف عام لأنه عكس القضية فلو أحسن وجهتها

---

[31] البرادة: إناءٌ مِنَ الطِّينِ الأحْمَرِ على شَكْلِ إِبْرِيقٍ لَكِنَّهُ أَضْخَمُ.

على السـقي سقاها نفساً واحداً فكل من عظم أمر نفسه وأهمل أمر سـيده بحيث جعل أمر نفسـه مقصوداً بالذات وأمر سيده أمراً زائداً ثقيلاً عليه يعمله بكلفة وأمره سـهلاً حلواً ولو بمشـقة فيكون حاذقاً في طرق نفسـه جاهلاً بأحكام سيده متراخياً فيها متعذراً بالجهل وأنه مشـغول بنفسـه فذلك دليل على انطماس البصيرة منه وعلامته أنه إن اشتغل بذكر سيده يثقل عليه وينام ويكسـل وإن اشـتغل بنفسـه نشط ولو بقي الليالي ذوات العدد لا يغلبه النوم وذلك لأنه عاشق في حظ نفسه فانياً فيها من دنيا وآخرة ولهو وقيل وقال والعاشـق راحته المعشـوق فلا يهتم إلا بأمره ولا يمتلئ قلبه إلا به فإذا ذكر سـيده الغير المعشـوق ثقل وتمرض وتعجز فصـار سـيده الذي يعبده هواه وأمر سـيده مطروحا عنده وهو عين الحجاب والحجاب بينه وبين سـيده بعد النسـبة لا غير وهو أنه عكس القضـية فلو بقي عليها عمر الدنيا ما عرف نقطة ماءٍ والماءُ فائض على وجه الأرض دائماً فلو ألقى لمربٍ عارف كيفية الغرف من الصـفاءِ لاغترف سـاعة وروى فعليك بتعظيم أمر سـيدك من صـلاة وذكر وبجعل

نفســك في يد ســيدك فإن ردك إليها وأذن لك في قضـاء حاجة نفســك فامتثل بالفور ثم توجه لنحو ســيدك فإذا ســمعت نداءَ ســيدك وهو المؤذن فافزع وغب عن أمرك كله ولو جائعاً كنت فإن الحاكم الذي يحكم عليك إذا أمرك بالإتيان إليه في ســـاعة معينـة لا يقبـل منـك قبلهـا ولا بعـدها فيقول لك إن كنتُ الآمر فـاقـدم في الوقت الذي عينته وإن كان الأمر أمرك فتربص فعن قريب يحل البلاءُ ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ**﴾ [32]. فالعبد إذا أمره ســيده فامتثل ظاهراً وباطناً فرحاً حيث اســتعمله ســيده وعمل العمل المتقن الذي يدور له الفلك بســـهمه وحرث مثلا حرثاً متقناً وزرع زرعاً جيداً في بلدة طيبة ونقاه من شوك العلل النفســية وحصـده ودرســه وذراه ونقاه تنقية أخرى من الحجارة وطحنـه طحنـاً متقنـاً وغربلـه عملا محكماً وعجنه عجناً محكماً وطبخه طبخاً محكماً يدور له الفلك بغلة عمله وهو ذوق ســـر عمله مع رضـى ســيده وإن أمره ســيده وثقل عليه العمل وعمل

---

[32] (31) سورة الرحمن.

عملا بالخيانة وغش فيه ويرد باطنه كلاماً على سيده فينسب سيده للظلم ويخاصم باطناً ولم يزرع بذراً متقناً وإن زرع أهمل تنقيته وإن نقى فرط في جمعه ودرسه وتذريته فإنه مستوجب عقوبة سيده ولا غلة له بل حظه العقاب من سيده فهذا شر الممالك فافهم ترشد فإذا فهمت علمت قوله جل علاه في بساط الظهور ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**﴾ .[33] وأما بساط الحكمة الإلهية ما خلقتك لأن تريد وإنما خلقتك لأظهر فيك آثار قدرتي واعلم أن الإرادة والتعرض بالأعمال من أكبر العوائق على الحضرة ثم إنه جل وعلا خلق إمام المتقين صلى الله عليه وسلم قائداً لحضرة الله وخلق إماماً للضالين قائداً لحضرة غضب الله فكل منهما يدل ويرشد إلى وصفي كرمه وانتقامه جل وعلا فالنبي يبين الطريق لأهل البصائر مجردة من الإرادة ويمني على لسان الله أهل الغفلة لسياسة الرجوع من غفلة الحظوظ فرجع

---

[33] (56 و57) سورة الذاريات.

البعض من سِنة غفلة المعاصي وسكر الغفلة الحظ الأخروي أو الدنيوي فسكر البعض السكر الذي يخفى إلا عن العارفين فيبقى في غفلة السكر النجس المحرم في دخول حضرة الصلاة وحضـــــرة الله تعالى و﴿**لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى**﴾ .[34] وأعظم السكر الخفي وهو سكر المقاصد بحيث يعبد لنفسه لا لربه فيجب عليك أن تتجرد من هذه الداهية الخفية ليصـــح الـدخول في الصــــلاة صـــلاة المقربين وإبليس يـدل بخيلـه ورجله .[35] ووسوسته ومعه لا يقطعه بقوة بل بوسوسة لا غير فليس لإمام المتقين أن يدخل إيمانا في قلب أحد إكراهاً وليس لإمام أهل الحظوظ أن يدخل الشقاوة في قلب أحد بل الفاعل المختار جل وعلا واحد في الحضــــــرات كلها فمن امتلأ قلبه

---

[34] (43) سورة النساء.

[35] ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

بالله يسقه إمام المتقين له ومن امتلأ قلبه بحظوظ يسقه إمام الأشقياء للشقاوة فنأمرك أيها المشفق على نفسه بالتأمل بالعقل الإيماني فإنه يتبين لك أن ما كان عليه عباد الحظوظ الدنيوية والأخروية رجس من عمل الشيطان لأنه سبب غضبه وأفرغ قلبك من كل غير وغيرية وكن عبداً حراً من رق الأغيار مقصوراً على ما خلقت له من عدم القصد والإرادة تكن عبد ربك إضافة محضة مكتسبة التعريف وإلا تكن مضافاً لفظياً ولا تفيدك إضافتك للحق إلا أنك عبد القهر لا عبد الرضى فاعلم أن الطريقة عندهم تتبع أقوال وأفعال وأحوال وعوائد وأخلاق إمام المتقين صلى الله عليه وسلم فهي الطريقة الحقيقية النافعة المستقيمة فتتبع أقواله وأفعاله فقط هو الشريعة العمومية فأحواله صلى الله عليه وسلم مبنية على صرف العبودية من غير إرادة أرأيت هل كان يريد أن يكون نبياً في الأزل وقد كان نبياً في الأزل أوان الإرادة وهل كان يريد أن يكون أفضل عامة الخلق فيه وقد كان فيه قبل وجوده وهل أراد أن يكون أعلم الخلق فيه قبل ظهوره كل ذلك مفاض عليه من بحر الفضل

قبـل ظهور أوان الإرادة فاعلم أن الله جل جلاله منفرد في ذاته وصـفاته وأفعاله فهو الكنه السـاذج الصـرف المتجرد عن كل ما يـدركـه العـالمون فهو القـديم وغيره حـادث أحـدثـه كيف أراد وأحدثه مع الزمان والمكان والأعراض فهو الحق جل وعلا وغيره مثل ظل غير ثابت كجرم في الضحوة وله المثل الأعلى والدليل ومـا يـدرك من المـدلول حـادث أحدثه معه فلم يكن من يتحرك ويســـكن ولا من يعرف جلالـه فـأحـب جـل جلاله أن يظهر وصــفي كرمه الإحســان لأحبابه والانتقام في أعدائه وســبق في علمـه جـل وعلا أن يظهر أولا فـاتحة الوجود وخاتمته ســـيدنا محمد صـلى الله عليه وسـلم فأظهر بفضـله بلا سبب تقدم نوره وأدرج فيـه نور حبيبـه إدراج الظـل الخيـالي الذي لا يتصـــف بظلمة ولا نور ولا باتّصـــال ولا بانفصـــال ولا بوجود ولا عدم فقواه بنوره المكنون وســـقاه جل وعلا بما شـــاءَ كيف شـــاءَ فانصبغت نورانيته صلى الله عليه وسلم وتميزت فسقي بما شاءَ اللـه بلا ســـبب ولا إرادة حظ فتعالى جل وعلا عن الأغراض والتوقف عن الأسباب والوسائط فسبحان من قهرنا بالظل فلا

تعرف ماهيته ثم تنزلت نورانيته صلى الله عليه وسلم فانصبغت صــبغاً لطيفاً تميزت فصـــارت محمدية فتميز بحر الألوهية من بحر الخليقـة وهو عين المحمـديـة فلا يبغي بحر الألوهيـة عن بحر الخليقة ولا العكس بحسب ما تعلقت به إرادته لا بحسب ما يدرك ويكيف فبحر الألوهية التي هي عين أم بحور الأســماء الحســنى يمد ويســقي بحر الخليقة الذي هو عين النبي المكرم المطلســـم قدره لكـل عـارف أياً كـان فامتزجت مدادية بحور الأسماء التي هي الأفعال في كنه نوره صلى الله عليه وسلم وآله فتنزلت حجابيته صــلى الله عليه وســلم بقهر إلهي بلا إرادة ولا تعرض فانبسـطت واتسـعت وأشـرقت إشـراق الظلية المخلوقية فكل ما وصلت ظليته فهو قاب قوسية حد ملك مولاه فيه فهو صلى الله عليه وسـلم ملك الله مظهر أسمائه وصفاته فانغمست ظليته صـــلى الله عليه وســـلم في بحر رحمة الإيجاد والإمداد فتكونت روحه الشــريفة من بين الرحمتين فهي أول الظهور من حضـــــرة الطمس فسقاها جل وعلا بما شاء الله قدر ما شاءه فأوقفها بين يديه جل وعلا تقبل وتدبر في حضـــــــرة الجلال

والجمال فعرقت بما دهمها من الجلال وثبتت بما غشـــيها من الجمال فسقطت نقطة عرق مناسبة لجرمية روحانيته صلى الله عليه وســـلم على كيفية لا يدركها إلا[36] العارفون فهوت في هواء ملكوتيته جل وعلا فتلقتها رياح الأســـماء وذرتها نشـــئاً وابلا فأمطرت مطر الرحمة وهو أول مطر فانجمعت أودية بحار قدرة الحـــق جـــل وعلا فصارت بحراً مشتملاً على ذرات وأعراض وأخلاق ولوازم ما يكون إلى ما لا نهاية له من أزمنة الدهر الآخرة والأزمنة والأمكنة والجوهرية والعرضية وجميع ما يسمى ملك الله فانزرعت الأكوان من مائيته صـــلى الله عليه وســـلم ووصل ما وصل وفصل ما فصل واتحدت الانفعالات واستوت في أصـــل الظهور باعتبار الفاعل وتخالفت أجناس المظاهر المنبعثة المكنونة من الحضرة المحمدية فهو عين الأحمدية التي هي عين الكنه فعل جل جلاله هذا ترتيباً لملكه لا غير من غير داعية فتكونت الأكوان كلها من كونية ماء نقطة عرقيته صلى الله

---

[36] لفظ "إلا" غير موجود في الطبعة الولى بدرب غلف.

عليه وسـلم فصـار أصـلاً أصـيلا لكل عدم مظهر مظهر بتأثير أسمائه جل وعلا وصار منبتاً لمراد الله في ملكه وانحجبت عن الخلائق كلهم حجابيته ووسـاطته وأصـليته فصـارت ألفاظ العارفين تومئ إليها من وراء سـجف الحجب النورانية فخلقت العوالم من سـماءٍ وأرض وبحر وسـائر عوالم الحق المتوالية لسمائها وغيره فصار صلى الله عليه وسلم روحاً للوجود ومفتاحاً له وخاتماً بحيث لم يتقدم له ظهور ولم يتأخر عنه ظهور بل ما ظهر وما بطن إنما ظهر فيه وبطن فيه فصـار صـلى الله عليه وسلم هو الكون الأمر الإلهي فهو المخاطب فهو الواصل وغيره منفصل بحجابيته صلى الله عليه وسلم مدرجاً في نوره بين يدي مولاه فغاية ما يدركه العارف ولو سيدنا إسرافيل إن حصل له الأنس بسيده جل وعلا في وسط وعائه صلى الله عليه وسلم فتنبعث له جيوش الجلال في مظليته صـلى الله عليه وسـلم فكل ذلك بتقدير الحكيم بلا سـبب ولا داعية ولا غرض فخلقت الملائكة وجعلت سهم الرحمة لا حظّ للغضب فيها ما عدا الثقلين الإنس والجن فلما عزل الحق جل وعلا إبليس

بحسب ما أشرنا له آنفاً وولى صفيه أبا أصل الوجود طينا آدم عليه السلام وخلق من ضلعه زوجته حواءَ فجعلها لبناتها عادة فما من زوجة إلا وقد خلقت من ضلع زوجها آنس سيدنا آدم بها في الجنة المقامة للعدل والخلود فأصدقها الصلاة على ولده طيناً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوحي إلهي فجعل الله جوهرة الوجود باكورته قبلة سيدنا آدم به يهتدى وبنوره يقتدى وبه يعبد ربه وبه يفصّل أحكام الله وكان آدم قبلة الخلائق فبه يستضيئون وأمره الحق أن لا يغفل عن الواسطة فإن غفل ساعة تجر عليه المقادير بغفلته عن قبلته وإن ثبت بحضرة ربه ترتيباً لملكه فكانت نعم الجنة لطافاً لا تضر ولا تصدع ولا تسهل ولا تفجر دماً ولا قيحاً وأنبت فيها الحق شجرة غليظة تاريخ أربعين عاماً قبل وجوده فعرضها الحق جل وعلا مقدرة بغفلته عن الوساطة فلما وسوسته سيدتنا زوجته بوسوسة اللعين جالت قوته في الاجتهاد ذاهلا عن الواسطة الممدة له فعام بنفسه في بحور الأوامر ولم يجد نهياً مصرحاً به عن حرمة الشجرة مساعداً حرمة المومنة زوجته فخفيت عنه اللوازم التي

تكفل بها الشيخ المربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأكل الشجرة بعد أن قرر له الحق جل وعلا أنها مسهلة وليست من جنس نعم الجنة وإنما نبتت قرب خلقه فلما أكلها مساعداً زوجته المساعدة اللعين الذي غرها بالقسم بالله فخفي عنها أن لا يكون في طوق أحد أن يتجرأ باليمين الكاذبة لقوة إيمانها وأهبلها حزمها بجلال الله وأنه لا يطيق أحد أن يحلف بالكذب فصدقته فلما مضى الأكل منهما ضحك إبليس عليهما فلعن إبليس فسرت قوة الشجرة الإسهالية في عروقهما قبل إيناس بدنهما بالإسهال فحصل إسهال منهما ووجع عظيم كوجع الولادة فتوجع آدم فأراد أن يقضي حاجته فهربت منه الجنة بنعيمها وثيابها لأنها حضرة القدس لا تصلح للقاذورات الشجرية فلما تبرأت منهما نعيم الجنة وعظم الأمر سمي ﴿**وَعَصَىٰ آدَمُ**﴾ .[37] بخفاء اللوازم التي هي أن من أكل الشجرة الغليظة يخرج من الجنة بسبب القاذورات وأن من أكل النعم اللطاف

---

[37] (121) سورة طه.

يبقى في الجنة لأنه لا وجود لسبب خروجه فأخرجهما الحق إلى حضرة الدنيا التي تسع الإسهال ففرق بينهما حين الهبوط لتقع الألفة وينسى آدم وسوسة حواء له فتخف المصيبة بطلب بعضهما بعضاً فلما التأما نسيا شجرة الخروج شفقة عليهما فدله الله على الحرف الفلاحية وغيرها وتحمل المشاق فاجتباه الله بفضله ولعن إبليس بعدله وجعل الله سيدنا آدم أول خلفائه في الأرض والسماءِ فجمع له بين النبوة والرسالة والخلافة العظمى عنه في كل أمر فولد له ولد كثير مع حواء فمات فقرّت الخلافة في ولده شئث ثم إدريس ثم نوح وفي زمن نوح كفر من كفر بتبديل الأحكام الشرعية وجحد وأبى النسخ وأن الله يفعل ما يشاءُ فاشتد الكفر ستمائة سنة فأهلكهم الله بالطوفان ثم ولد لنوح أولاده وهي الباقية لا غير ثم إن كل نبي تقدم ورسول تنقطع شريعته بموته ولم تعم شريعة أحد بل خاصة بما قصه الله لنبيه فولد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم العرب وإسحاق بني الأصفر وبني إسراءيل وكثرت النبوة في بني إسراءيل تبكيتاً عليهم ونكالا وبقيت العرب في غفلة الفترة من شريعة إسماعيل

وبقيت فوضـــى لا نبي لهم من زمانه إلا ما كان في بعض القرى مدين ونواحيها وثمود ونواحيها وعاد ونواحيها قد خصـصـها الله بالنبوة الخاصـة فانقطعت النبوة بعده بموت صـاحبها لأنه ما من نبي إلا وانقطعت النبوءَة بعـده بمجرد الموت ولم يتوجه للعرب نبوة بني إسـرائيل ولا بني الأصـفر لأن صـاحبها كلف بقوم مخصـوصـين إلى زمن مخصـوص ولم تكلف العرب من زمن إسماعيل إلى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم تكليف أصول من العقائد ولا تكليف فروع من القواعد بل هم سـهم الرحمة بجنسـية أصل الوجود صلى الله عليه وسلم وغطاهم الله بفضله ببركة نبي يظهر فيها فإذا ظهر أيس الشـيطان من كفرها كما أيس من شقاوتها قبل ظهوره لأنهم غير مكلفين وعليه فمن مات قبل البعثة أو بعدها من قبل أن يظهر له في باطنه حجة البعثة مات على الفطرة الإسـلامية وإن كان يحارب لأنه غير جاحد والكفر الجحود وإن أشـرك في عبادته فهو خفيف في حقهم لأنه لا تكليف إلا بالعقل ولا عقل إلا بالشـرع فبحر الشريعة الربانية هو الذي يمد البواطن فيسـمى نور الشـريعة عقل تكليف فمن

كان يقتل أولاده ويدفن بناته حيات ويستحلّ الزنى في الأمهات والبنات ويستحل إراقة الدماء فهل يسمى عاقلا ومنه تعرف أنه لا عقل لأحد إلا بما أفيض عليه من حضرة الشرع ولا شرع في زمن العرب فمن تبينـت لـه الحجـة البـالغـة في أمر النبوة نبوة سـيدنا محمد صـلى الله عليه وسـلم وجحد بعده فهو الكافر والجاحد فإن استند في زعمه إلى كتاب انقطعت أحكامه بموت صاحبه يسمى كتابياً كافراً جاحداً ولاية سيده حيث جحد عزل صاحب كتابه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصل الوسائل كلها فقد ادّعى أنه يحجر الله تعالى عنه علواً كبيراً حيث لا يعزل من أراد ويولي من أراد وقـد أراد أنـه عزل كـل نبي بموتـه وقرر شـريعته بنبي بعده إلى سـيد الكل فإنه جل وعلا عمم رسـالته في سـائر أجناس مملكته تكليفاً للثقلين وتشـريفاً لغيرهما ما دامت أيام الدنيا والآخرة وإن انقطع التكليف بالموت فلا يظهر بعـد الموت إلا بحور أنوار الشـريعـة ونتـائجهـا وعليه فكل من أسـلم وحسـن إسـلامه لا ينبغي أن ينسـب للكفر لأنه لم يكفر ومن تبين لـه وجـه الحق وجحـد وإن أسـلم ينـافق يعـد كافراً

جاحداً متمرداً فالصــحابة لم يكن فيهم كافر من ســـيدنا إبراهيم إليهم فافهم وســلّم تســلم وإذا كانت أجداد الصـحابة من العرب كذلك وأحرى نسـب سـيدنا محمد صـلى الله عليه وسـلم فهو أفضـل الأنسـاب وأفضـل القبائل والشـعوب والأحياء فنســبه القطبانية الخلافة وحواشي نسبه الشـــريف الأمراءُ والأبدال[38] وأرحامـه من الأمهات والجدات والمرضـــعات والأخوات من الرضـاعة صـديقات من كبار أهل التصـــــريف وهي مرتبة دون القطبانية وفوق الولاية فحفظ الله لله الحمد نســـب إســـماعيل من رجس الكفر ببركة ســـراية القطبانية فيه فمن كان من أهل الكتاب قبل ظهور سـيدنا محمد صـلى الله عليه وسلم فإن اتّبع نبيه فهو مســـلم وإن جحد نبوته بعد وضـــوع[39] الحجة فهو كافر

---

[38] قال ﷺ: ((**لا يزالُ أربعون رجلًا من أمَّتي قلوبُهم على قلبِ إبراهيمَ، يدفعُ اللهُ بهم عن أهلِ الأرضِ، يُقالُ لهم: الأبدالُ**، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: **إنَّهم لم يُدرِكوها بصلاةٍ ولا بصومٍ ولا بصدقةٍ**، قال: يا رسولَ اللهِ! فبم أدركوها؟ قال: **بالسَّخاءِ والنَّصيحةِ للمسلمين**)).
الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 190/4.

[39] لعل أصل الكلمة "وضوح الحجة".

وبعد عيسى عليه السلام انقطعت رسوم التكليف عندهم بالرفع بين أظهرهم وكفر من تعمد قتله من الطائفة اليهودية ونجا الباقي فعم أهل الفترة العيسوية سهم الرحمة إلى بروز صاحب الشرائع كلها فمن تبعه منهم فهو مومن ومن جحد فهو كافر فلا يعذر واحد منهم بالجهل لأنها تبينت لهم في كتبهم القديمة وإنما حرفها سفهاؤهم بسبب الطمع وذلك شأن الطمع وأهله وأهل الرياسة فلما أينعت بساتين الصحابة الأجلة جاهدوا في الله حق جهاده فعاش من بعدهم في بركتهم إلى يوم القيامة وإنما أطلنا النفس وإن كان مستطرداً تنبيهاً على دائرة الفضل الكنزية المكتومة وهي أن الله جل وعلا فعل ما فعل بلا سبب ولا عمل ولا قصد بعمل ولا مجاهدة بل شئون الحق برزت من بحر فضله على أيدي أسمائه جل وعلا فيجب عليك أن تعول على فضله لا على عملك لأنه هو الفاعل له لا أنت وإلا أتعبت نفسك بلا طائل فإذا عرفته علمت أن مقصودنا أن تسلك الطريقة الأولى التي كان عليها صاحب الشرع وأصحابه فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس في غفلة وإشراك وقتل بنات وأولاد

وزنى واســـتحلال الدماء وغيرها فنبههم بالســـياســـة الربانية فســاســهم وراضــهم حتى ارتاضــوا بأنواره وحكمته وبقوة عقله المكتسب من الشــريعة حتى أحبوه وتركوا ما كانوا عليه وتجنبوا في محبته ما نهاهم عنه وفضلوه على نفوسـهم وأولادهم وأموالهم فـامتلأت قلوبهم بمحبتـه التي هي عين محبـة اللـه فلم يكن لهم تعرض لغير امتثال أوامره واجتنـاب منـاهيـه ولم يكن تقـدم لهم ذكر جنة ولا نار ولا ولاية ولا كشــف ولا ســر ولا مراقبة ولا مشــاهدة ولا معاينة ولا حالة من أحوال الســالكين بل فجأهم الحق على يد النبي صــلى الله عليه وســلم وصــدقوا برســالته ممتثلين له مذعنين فانين عن أنفسهم تاركين ما كانوا عليه ببركته فتعلموا الشــريعة من أكل وشــرب وجماع وحركة وســكون فلا يعد أحد منهم نفســه عالماً كيفية اســتبراء البول حتى يتعلمها منه ولا مـا دونها وفوقها من المعاملات العباديات والعاديات والعقود فســلموا أنفســهم له وتركوا عقولهم معه ولذلك يســألهم عن أي شــيءٍ من الأيام والشــهور فيقولون الله ورســوله أعلم ولم يكن فيهم من يدعي معرفة شــيءٍ قليل فاشــتغلوا برضــى رســول الله

صلى الله عليه وسلم وتجنبوا مساخطه فهذا دأبهم ولم يقصدوا سلوكاً ولا وصولاً وتجردوا من رذيلة الحظوظ النفسية وصمموا على كتاب الله مفسراً بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم لا بإشارتهم فلما تحقق الله يقينهم أزال الله الحجاب لكثير من الصحابة حتى اتضح له ما قرره صاحب الوحي فلم يزده ما شاهده معاينة على ما عنده من صريح كتاب الله وعرف كل واحد منهم أنه ببركة متابعة حدود النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزدهم ذلك إلا متابعة واتصالاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فثبت أمرهم ورسخت أقدامهم وتفجرت بحور صفائهم من غير تعريج على شيءٍ غير المتابعة فلم يكن فيهم مجذوب ساقط التكليف لأنهم كاملون مكملون مهتدون هادون واستقرت بحور الشريعة فأمدت قلوبهم حتى إن أحداً لو بقي يملي أسرار الشريعة عمر الدنيا والآخرة ما نفد عشر ما فهمه من إشارات وتصريحات وتقريرات وعوائد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وتقوّت أشباحهم وأرواحهم حتى إن أحداً منهم ليقاتل أهل جيلنا مثلا وحده وبعده لا ينسب شيئاً لنفسه فلا يقول

فهمت ولا علمت ولا تلقيت من حضـرة غير النبي صـلى الله عليه وسلم شيئاً بـل ذلك كله عيـن الشريعة وإن فهموا ببواطنهم شـيئاً يردونه لها فبقيت الشـريعة محررة وبقي قصدهم محرراً مجرداً من الأغيار مضربين عما ظهر لهم من حقائق الشـريعة فينسبون الحقائق للنبي صلى الله عليه وسلم وإن وقع لهم الفتح الأكبر وصـرفهم الله في ملكه فلا يعدون أقطاباً وأفراداً أو نجباءَ وأولياءَ وأوتاداً فلا يراعونـه ولا يخرجهم ذلـك عن ثبـاتهم ولا ينطقون إلا بالرواية عن الشـارع فبذلك سـموا الصـحابة دون غيرهم فإن الصاحب يشترط اتّباع المصحوب فيه والتابعون من القرن الثاني إنما صـحبوا الصـحابة لمشـاهدة أفعالهم ومشـافهة أقوالهم ولا حظّ لهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يشـاهدوه ولم يتبعوه حق الاتّباع وهكـذا للقرن الرابع فتابع التـابعين لبس حلـة التـابعين والتـابعي لبس حلـة الصـحابـة والصاحب لبس حلة صاحب الشرع فشـتان ما بين المقامات وإن كـان المورد واحداً لكن لما عبـد القرون الثلاثـة اللـه على وجه التجرد من كل حظ زائد عن التعلق بالربوبية بملازمة حد

العبودية سموا قرون الفضل فلا يوازنهم غيرهم ممن بعدهم إلا إن سلك مسلك إخلاصهم بتوحيدهم ألسنة العبودية لحضرة الربوبية امتثالا ومحبة واستحقاقاً وغلبة فهذه هي الطريقة الفضلى الأولى الواضحة الفضلية الخفية السمحة الإبراهيمية الأحمدية المحمدية المستقيمة التي سلكها مَن ﴿**أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ .[40] ثم إن ما ذكره لسان الشرائع من الفضائل والثواب والعقاب والخواص مما ينشط المقرب ما ذكره إلا لإيضاح ما أفاضه الحق بفضله على قلب نبيه إظهاراً لمرتبته ولخزائن أسرار ملك الله ولتفريج عيون الجادين بالله لا بالنعم فعظمت نعمة الله عليهم ولم تزلزلهم النعم عن إفراد الوجهة لمولاهم لتمكنهم في رسوخ الشريعة ومعرفتهم مقاصد الشارع فاعتبروا بالظواهر البواطن عالمين سر السجود الذي هو التذلل والإفراغ والوقوف بجميع أجزائه بين يدي مولاه عالمين منه أن لا فضل للفوق على

---

[40] (69) سورة النساء.

السفل ولا العكس وإنما الفضل ما فضله الحق فسرى سر العبودية في بواطنهم ولم يضرهم ما سمعوا من جنة أو نار ولا قصور فاستلذوا خطاب سيدهم واجتهدوا في أمر العبودية فصار فتحهم هجوميا بلا قصد فلما تمالأت القلوب على الفتوحات الدنيوية بالجهاد الإسلامي صار الناس يجاهدون للأموال ولإظهار مرتبتهم لتكون لهم الكلمة السلطانية أدبرت القلوب عن الله وأقبلت إلى شهواتها فنزلت مصيبة على العلماء العارفين فاجتمعوا لاستنباط طريقة تمني الناس بالمراتب الكونية الأخروية السرية الباطنية فاستنبطوها على وفق ما أملوه مبنية على الحظوظ قصداً منهم لترقيق القلوب فبنوها على أهل الأحوال من الصحابة فمن أراد أن يشرب بعض أحوال سيدنا علي كرم الله وجهه فليفعل كذا فإن علياً يفعله وليذكر كذا فإنه يذكره وقس عليه بقية أهل الفتح من الصحابة فلما ظهرت الطريقة على تلك النمط على أيدي كبار العلماء نهض أهل الجد والمحبة في الولاية الباطنية وتجاذبتها أيدي العارفين فشرطت لهم الأيمة شروطاً من حزم وسهر وقلة الأكل وزهد

في الولاية الظاهرة وصمت مستدلين لهم بنصوص الشـــريعة التي تقدم لنا أنها تخاطب كل أحد فصـيروا لهم الفضـائل عين عروســهم واجتهدوا وتصــدرت أيمة الحق لتربية الخلائق على وجه السـياسـة الشرعية الإيمانية ومقصود الأيمة شغل نفوسهم بالفضـائل والخواص حتى يرق حجابهم بالجوع والسـهر والعزلة والمجاهدة فقسـموا النفس إلى سـبع مواقف فنقلوا العابدين من مرتبة إلى مرتبة بالرياضـة فإذا نقله من مقام اسـتقذر له ما دونه ويعده نجسـا حتى يقطع سـتة نفوس فإذا قطعها تبين له لوائح القرب من وراء الحجب الرقاق فيسـأل شـيخه عنها فإذا تحققها بين له شـيخه أنه إنما تعبت نفسـه فيما مضى من العبادة فالآن يسـتأنف العمل فيأمره بالانسـلاخ من الإرادة والركون إلى غير مولاه ويطبق له عليه صريح نصوص الشريعة فيتجرد ويبقى مع ربه عبداً فانيا مع قطع النظر عن الغير خائفا من سـلوكه فيعده معصـية وينزل الكلفة التي تحملها من الغيرية ويسـلم أمر الخلق كلهم لمولاهم ويشـاهد عين الوحدة فإذا تحقق بمقام الفناء عن الغير يقول له طبيبه الآن قد أيقنت بسـعادتك حيث لم تمت

في سلوكك قبل الوصول فلو مت مت على غير أدب وعلى غير توحيد الوجهة فيوصيه أن يراعي حق الإخاء فيشتغل شيخه بغيره ويأمره بعد الثبات بنفع الخلائق بمثل سلوكه وسياسته من غير تبيين المقاصد في وسط المقامات حتى يوصله لكن شيخه يأمره أن يلازمه ليلا يموت على الحظوظ فإذا رآه قرب أجله يجرده بالهمة ويموت مجرداً منها هكذا شأنهم رضي الله عنهم فوصلت بها أقوام وضلت بها أقوام من المسيئين مع أساتذهم وكثرت الشيوخ وتفجرت بحور السلوك وفرح الدين بالقادمين من تيهاء الحظوظ بعد أفول شمس الكاملين فانتظمت سحائب أودية القلوب وأينعت النفوس وصارت أرواحا بعد تحكمها على الأرواح واتضحت الطريقة الثانية بالأطباء الأجلاء فقاموا على ساق الجد في إيصال الواردين وقطعوا معهم مهامه عقبات العطب فجعلوا لهمتهم السيارة النافذة سر قوامهم وجعلوا ما في الدنيا من النعيم زاداً للمسافر وقطعوا النظر عن زخارف الدنيا ونزلوها منزلة الزاد للمسافر فالمقصود به سد الرمق لا غير للتقوي على ما هم عليه من

السير فجدوا سيرهم مسنحين أنفسهم وأتباعهم سيوف العزم والأذكار فنصبوا عدوهم إبليس قدامهم ينظرونه بعين رؤوسهم فشغلوه وقطعوه بسيوف المجاهدة والمذاكرة أسرار الشريعة ولم ينصبوا أنفسهم في مقابلة عداوته لأنه إن فعلوا صار هو الشاغل لهم بل نزلوه منزلة الكلب العقور ينبح ويلهث ولم يلتفتوا لنباحه عالمين أنه يضيع من لا عقل له من المتهارجين معه بل تركوه وراءهم واجتهدوا بسيرهم حتى قطعوا ما يمكن أن يصله إبليس وجنوده وقال هيهات هيهات فلتم مني وهذا جهدي فيما كلفت به من الإغواء فلو كانت لي طاقة أو قوة لقطعتكم ولكن لم يجعل لي الله إلا حيلاً أغوي بها من كان على شفا الحظوظ ووجدت فيه زبالة نجاسة الغير والغيرية فالمريدون في حال سلوكهم وإن كانوا متلطخين بأنواع النجاسات الحظوظية لكنهم في كنف المجرد من الحظوظ يحمي بنوره أناساً كثيرة فلما أخذت السالكون راحة من اللعين وفرحوا ناداهم شيخهم فإن العدو الحقيقي هو ما بقي قدامكم وأما اللعين إنما هو يكيد كيداً ضعيفاً بالوساويس الواهية فاعلموا

أنكم دخلتم بلد الهلاك والعطب والقطع وكثرت الآن المحاربون على دينكم وهم المراتب الكونية من فتح وولاية وكشوف وأسرار ورقائق وانقياد الروحانيين لكم فجدوا الآن وأخرجوا جميع ما عندكم من القوة وآلات المحاربة معها وزيدوا في مكينة همتكم زيتاً وفحماً وقدموا كل مدفع وصواعق للقتال فجعلهم أمام رحالهم في حيطته وسل سيف الغضب على من ركن للمراتب فجاءت جيوش الأسرار لكل واحد من المريدين في كل جهة ظاهراً وباطناً فخاطبهم كبيرهم بالتجرد مما سوى الله مانعاً لهم من كل سر حاملا عنهم أذاها بهمة العرفان فساسهم وراضهم بسياسة ورياضة وصبر لجفاهم بالركون لغير مولاهم فمن واصل ومن هارب ومن مسجون عند كبرهم فنصب المواعظ والأدوية وتنزل للقتال عنهم فمنهم من قال ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ . [41] ومنهم من امتثل وتجرد فوصل لحضرة السيادة ومنهم من بقي مع الكشوفات

---

[41] (24) سورة المائدة.

وخرق العوائد والتصـــريف بأنواع الأذكار فلا يزال الكبير ينافح عنهم حتى وجدهم بنوا معـاقـل الراحة وترفهوا بملك الروحانيين والانفعالات ولم يجد لهم ســـبيلاً لتمكنهم تركهم على ما هم عليه وأدخـل معـه طـائفـة قليلة وهذا دأبه مع كل الأمة قانعاً بالعارف الواحد إذا وصـــله لأنه منزل منزلة كل الأمة فمن بقي مع مراتبه يـدعي أنـه من الكـاملين فيعيش مع المكونات عيشـــاً رغداً ولم يشـم رائحة المعرفة والرضـوان يتصدر للمشيخة لما رآه على يده من الانفعالات والكشـــوفات فيضـــل الســـالكين ولذا كثرت المـدعون للمشـــيخة وقلـت العارفون لأنهم أحرار والحر قليل فاختلطت طرق البطالة بطريقة الصفاءِ ومن الناس من يستعمل الأذكـار العظـام التي يشـــترط فيهـا الإذن بلا إذن أو بإذن مع مخـالفـة الطبيب بما ظهر له من المجاهدة والمكابدة ففاضـــت عليه بحور الأســـماء فســـلب عقله فصـــار بهلولا لا عقل ولا تكليف وهذا مقصـود للشـيطان ولم تكن المجاذيب في الطريق الأولى أصلا بل هم مجردون من الإرادة وعبدوا الله حتى أتاهم اليقين فيســتوي عندهم الفتح والحجاب مســتســلمون لمولاهم

فكثر الضـــالون المدعون الجذب الإلهي فكل من خرج عقله لـدنيا أو موت قريـب يدعى مجذوبا ولا زالت العارفون يحمون الطريقة الثانية بهممهم وأقوالهم حتى وصـل من أراد الله أن يصل عليها وجردوا ســيوف التذكير والتحريض على الســلوك بها ليلا تنقطع العابدون على الوجه الأكمل فتقوم قيامة العامة وتنصـــب عليهم رزايا الجهل والاغترار وامتدت غصـون الطريقة الثانية إلى حدود الخمســـين عاماً من القرن العاشـــر تمالأت الناس على الخواص والجداول والاستخدامات التي رمتها ألسنة الشـــريعة وكثر العطـب وتركوا من يرشـــدهم للطريقـة وترأس كـل واحـد ومنهم من دخل الخلوة بلا شـــيخ أو بلا أدب لمخالفة شـــروط شيخه للأموال ليبني زاوية يجعلها شبكة الدنيا يتمتع بها فحصل له مراده بكثرة الظلام فاجتمع عليه الســـفهاءُ وجمع أموالا تركها من ورائه فراج إبليس في أولاده فزين لهم القتال بينهم عليها لأنها مصـيدة النجاسـة وأزال صـاحب الزاوية بعد أبيه جلباب الحياءِ وهتك الشــــريعة ويجبر الناس على خدمته وإلا أهلكهم بدعوته فيأتي إبليس فيســـوق له كل غثاءٍ ليلا تنقطع طريقة الضـــلال

فكثر الخبث وتركت الصلوات في أوقاتها وضيعت أركانها حتى إن من يصليها ينقرها لأنه يصليها عادة آبائه لا غير ولا يجد حرمتها في قلبه لأنه متبع عادة آبائه لا غير وظهرت المرابطون المدعون طريق الخرقة فتنافسوا تنافس الجعل[42] على النجاسة وانسدت المسالك وانغلقت الأبواب وبقيت العارفون يبكون على الدين في كل عصر ولم يجدوا معيناً على نصرة الدين وقطع البدع والشبه وحسم مادة الضلال التي هي عين الحظوظ فتبرأت الكاملون من الدجاجلة فمالت الناس لهم وتركوا العارفين وصارت زاوية العارفين كالباطل وزاوية البطالين صحيحة مستقيمة فقال أبو مدين الغوث انقطعت الطريقة انقطاعاً كلياً ولم يبق إلا الرجوع إلى الله بهمة العارفين وحال من يدعي الطريقة الصريحة ما هو إلا مدع لا غير ولا حظّ له فيها ونهوا عن اتّباعهم وأمروا بطريقة العامة إن لم تكن الأولى ثم أخبروا بأن الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام

---

[42] الجُعَلُ: حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع النَّدِيَة.

السـلوك فأكثر البعض فوصـل بها فتمالأت الناس عليها وكثر ستـر الله على الأمة ببركتها إلى قيام السـاعة فلله الحمد على دوام فضـله وهذه فترة العارفين انقطعت طريقتهم إلى حدود السبعين من القرن الثاني عشر جدد الله من رد الطريقة الثانية إلى الأولى وحكم بأن من سلكها بعد لا يحصل إلا على التعب وطرزها بالنصوص القرآنية فتجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرج كأنه لم يمت وأفاض على صاحب الطريقة الأولى جميع علومه الظاهرة والباطنة وباطنة الباطن وهو العلم الثالث الذي اختص به وأفاضه على حامل الطريقة الأولى التي هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيه ويبين له القربات بنفسه فعلم له كيفية الصلاة والتيمم والوضوء والغسل والسجود والركوع مشافهة يقظة لقوة سرايته فيه حتى قرر له صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع وجميع الطرائق والأحوال ونزله من صفاء التربية منزلته في كل قول وفعل وأمر ونهي فمن أخذ عنه فقد أخذ عن يد صاحب الوحي ومن امتثل أمره فقد امتثل أمره صلى الله عليه

وسلم ومن خالفه فقد خالفه وضمن له صلى الله عليه وسلم كل من تبعه إلى قيام الساعة وأولادهم وأزواجهم وأنسابهم ووالديهم وسراريهم بلا حساب ولا عقاب فضمن له صلى الله عليه وسلم أن لا تنقطع طريقته إلى قيام الساعة وأن يبقى فيها سره صلى الله عليه وسلم وأن لا تكون التربية بغيرها إلى قيام الساعة فضمنه كله وضمن له أن يكون له واقفاً على رأسه دائما وعلى رأس أتباعه بحيث لا تخطر بدعة في طريقه إلى قيام الساعة وضمن له أن ينوب عنه صلى الله عليه عند المهالك والأمور العظام وأنه هو المربي صاحب الطريقة وأنه مقدم له في إيصال مدده صلى الله عليه وسلم فتصدر لها مبيناً وجهها مجرداً كل من قصده من نجاسة الحظوظ وأفردت الوجهة لله الحمد في زمانه لمولاهم وظهرت أنواره صلى الله عليه وسلم كزمان الصحابة لأنهم نهجوا طريقتهم واتضحت المقاصد وعبد الله على الوجه الأكمل فتميز الخبيث من الطيب فبرزت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم ووصلت العرائس بلا قصد بل بفضل إلهي فتعطرت الأصقاع بترك كل مقصد مع الله عالمين بأنه هو

الفاعل في الحضرات كلها فعرفوا الله وعرفوا وسائطه الفضلية وعرفوا بأن الله هو الظاهر هو الباطن في حضرة الوسائط فعظموا وساطته صلى الله عليه وسلم على ما ينبغي من كونهم يحبونه لمحبة الله له ويمتثلون أمره لأنه خليفته ويصلون عليه تعظيما لله ولخليفته فجعلوا أمره أمر الله وجعلوا شيخهم خليفة عن الخليفة الأعظم صلى الله عليه وسلم فابتدروا لأمره وجعلوا أمره أمر الله لأنه خليفة خليفته كل ذلك سياسة لملكه جل وعلا من غير افتقار إلى واسطة بل ذلك حكمه في الأزل وعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم لله وعرفوا شيخهم لله لا لحظ زائد لأنهم تبرءوا من الحظوظ أولا فلا حظ يبقى لهم مع ربهم ولا نبيهم ولا شيخهم فصحت الوجهة للحضرات كلها ونزلوا كل حضرة حضرة ربهم فإذا كانوا في حضرة نبيهم جزموا بنيابة عن الله لا غير وتجردوا من كل ما شغلهم عن ربهم وكذلك حضرة الشيخ فصفي المشرب وهنؤ المساغ وفاض كوثر الإخلاص على الوجه الأكمل فذابت النفوس بنور الإخلاص إخلاص العارفين الذين قطعوا النظر عن غير مولاهم فتتابعت

الفيوضـــات الإلهية النبوية الأحمدية واســـتـــــمرت وتكاثرت الواردات وامتدت ولم تجد الولاية والكشـوفات محلا يقبل غير ربهم فصـــارت الولاية تاجاً على رؤوســـهم ولم يبالوا بها إلا على وجه امتثال أمر ربهم فهم غرقى في مرضاة ربهم فنزعت الحظوظ من بين أظهرهم وصارت الطريقة طريقة المنعم عليهم في الفاتحة طريقة الفضـــلية وهي التي أرشـــد الحق في أول كتابه إليها ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ [43] ولم يرشد لطريقة العمل لأن العمل أمر مكلف به جبراً والفضـــل له جل وعلا فلما رفعت لله الحمد كلها للأولى وبقي العمل فيها على عمل الصحابة فما فعلوه هو الطريقة وما تركوه بدعة وإن كان مســتحســناً في الثانية لأن الثانية لا يحتج بها على الأولى بل الأولى حاكمة مستقيمـــة لأنها طريقـة الصـــحـابـة والتـابعين مجردة من العمـل والخواص والتعرضـات بالأعمال بل النية فيها لله ولرسـوله والثانية في أول وهلـة الـدنيـا ومـا يعقبهـا من الزخـارف والجنـة ((**إنمـا الأعمـال**

---

[43] (7) سورة الفاتحة.

بالنيات فمن كانت هجرته لله ولرسوله فهجرته إلى الله ولرسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) .[44] فهذا الكلام الشريف منبع الطريقين الكلام الأول للأولى والثاني للثانية لكن الثانية في الأولى بالله لا بتعملهم فصار الدين قوياً بعد أن كثرت المدعون وانقطعت الدجاجلة بالأولى لأنهم لا يدعون دعوى بل هم عائمون في بحر العبودية المحضة جرد منها من يكلؤها إلى يوم القيامة لقوة أنفاس صاحب النبوة فيها حتى أن صاحبها الذي كلفه صاحب النبوة يصرف همم الناس لها ما مات في حدود الثلاثين من القرن الثالث عشر حتى ترك من أصحابه عدد أصحاب صاحب الوحي مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً كلهم شاهدوا طلعة وجه من خليفة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم لأن هممهم في التوله به كالصحابة لا غير حتى إن أحدهم لو أفيضت عليه القطبانية العظمى لا يعرج عليها بل ينسبها للنبي صلى الله عليه

[44] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 1.

وسلم وهو خادم لحضرته فصاحب الشرع هو القطب والقطب الزماني نائب عنه وهو فان فيه فلا يقول برأيه إلا ما قاله له صاحب الوحي ولا يتصرف حتى يأذن له لأنه فانٍ في رؤيته فمنهم من لا تفارقه طلعته كأنه لم يمت صلى الله عليه وسلم ورتب صلى الله عليه وسلم منهم تلامذ وأصحاباً وفقراء وعين لكل واحد أخاه من الصحابة ديناً ومقاماً فمنهم من نزله منزلة أبي بكر ومنهم من نزله منزلة عمر ومنهم منزلة علي ومنهم منزلة عثمان إلى آخر طبقات الصحابة فمنهم من بشرهم بالجنة كالعشرة ومنهم من بشرهم كأهل بدر لا يضرهم ما فعلوا ومنهم من قال أنت منا كسلمان لمحبته ومنهم من قال له ((**أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا**)). [45] كبلال ومنهم من تقضى الحوائج بذكره كعمران بن حصين[46] ومنهم من صلى عليه النبي

---

[45] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 86/3

[46] عمران بن حصين بن عبيد بن خلف صاحب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في سنة سبع وله عدة أحاديث وولي قضاء البصرة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد

صلى الله عليه وسلم كأصحمة [47]. ومنهم من سل سيفه كعلي ومنهم من قال فيه هو مدينة العلم إلى آخر مزايا الصحابة الكرام فرجع الدين لله الحمد كبدئه ((**بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً**)) [48]. وقد رجع ولله الحمد وغربته استغراب العقول أن تظهر الفيوضات في هذا الزمان كفيوضات الصحابة الأجلة وغربته في الصدر الأول ظهوره في ظلمة الجهل فكانت غرابة هذا الدين ونفاسته أمراً عجيباً يستعظم أمره كل من لم يطلع على سر الله فيه وأما من أطلعه الله على لمعان جوهرة صاحب الدين وذاق سره فلا يتعجب في أمر الدين في كل زمان فإذا علمت أن صاحب الشرع هو الذي اجتهد في نصرة الدين في كل زمان وإنما كثرت المدعون للمحبة والمجاهدة في الطريقة

بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم. توفي عمران رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنه مسنده مئة وثمانون حديثا. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.

[47] **أن النبيَّ ﷺ صلى على أَصْحَمَةَ النجاشِيِّ، فكبر عليه أربعًا.**

الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3879.

[48] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 145.

الثانية وادعوا الترقية بأنفســـهم وهممهم حتى أعياهم ما هم عليه تركهم حتى قنعوا من الإرادة ولم يحصــل لهم ما أملوه للكســل والفشــل بالتنازع والدعاوى ثم قام بعده صــلى الله عليه وســلم وبسـم طريقته المسـتقيمة التي أرشـد لها الحق في الفاتحة وبين مراســمها وشــروطها وحدودها ونزل عليها للحفظ علي بن أبي طالب سـالاً سـيفه على من غير وكدر وجهها فيقصم من حيث لا يدري فتنصب المصائب في ماله وبدنه ودينه حتى يرجع إلى أمر الله ويتوب من التغيير والتبـديل فتغييرهـا بتخليطها بالثانية المســتنبطة للحظوظ المراتب في أولها فكل من رأيته من أهل الأولى تغيرت حالتـه حتى في ملبســه فـاقطع بـأنـه ربي بالدرة العلوية أو بالســيف العلوي كما كانت الصـحابة يربون بأقوالهم وأفعالهم بالقصـاص والحدود والنبي صلى الله عليه وسلم كذلك فيمن أساء في هذه الطريقة النبوية وهو حارس ذمامها وحدودها ما دامت الأرض باقية للبقاء غير معرضــة للفناء فتجد أهل هذه الطريقـة ينفرون ممن يروم الـدعوى ويقـابلونه بعين الازدراء لأنه خرج عن العبودية وصـــارت جنة فرحهم من يذكر لهم العبودية

ويرشـــد لها فكلهم شـــيوخ مربون بالفطرة النبوية حتى أن من دخلها سـاعة مكانية تجده لبس حلة التبري من الدعوى مطبوعاً عليها بســـيف القهر فلا يقبل كلام من لا يحبها وينفر منه في أول أمره ولذلك لا يســـلمون كل ما خرج عن العبودية أياً كان فصمموا عليه لله الحمد بحيث لا يقبلون سحر ساحر ولا كهانة كاهن ولا حماقة لاعب وجاهل ولا فصـــاحة خالب ولا نجامة ناجم ولا حســاب حاســب فتجدهم ينفرون بطباعهم الســالمة وينفّرون ممن شـأنه ذلك وعليه فلا يكاد أحدهم يصدق الدجال إذا ظهر لما صمموا عليه من العبودية الصـــرفة المفتقرة للسيادة المالكية في حضـــرة الربوبية لأن صاحب الوحي ضمن لصاحب هذه الطريقة أن لا يتبعه أحد من المتمســكين بطريقته لما جبلوا عليه بالفطرة السليـــمة بإفراد الوجهة لنقطة الوحدة حضـــــرة الألوهيـة ولا يمر الـدجال في بلـد أهـل هـذه الطريقـة فيه لأنهم يســفهونه وينســبونه للتشـيطن وهو يقول بالربوبية فتمالأت عليه أهـل الطريقـة بالتمرد فيخســـأ في كـل بلد فيه أهلها لله الحمد وكفى أهلها شـــرفاً حيث ســـلموا الملك كله لله وكل من خرج

عن حد العبودية يتلاشـــى أمره عندهم فإنهم أنصـــار الدين كما كانت الصـحابة أنصـار الدين فتجدهم يأمرون بالمعروف والدين لإخلاص الوجهة لحضـــرة الله جل وعلا وينهون عن المنكر في زمن الصـــحابة الكرام وهو الإرادة وطلب الثواب عن الأعمال والتعرض بـه لانفعـالات الأكوان فهـذا هو المنكر الغير المعروف في عهـد القرون الثلاثـة فـاســـتقامت الطريقة لله الحمد وزال نقـاب محياها وقد تنقبت في زمن الصـــحابة وعرفت من وراء الحجاب لكثرة أنوار خطاب الشـــارع فلما انحجبت بالكلية إلا عن الأفراد بعد القرون الثلاثة عميت عنها البصـائر فوقع ما كان حتى أزال صـاحب الشـرع بوساطة خليفته المهيءِ للخلافة عنه في علم الغيب فأزال كل حجاب عنها فتبين حســـنها لكل عاقل وضـمن من الحضـــرة المصطفوية أن تدخل الأمة كلها أو جلها فيها كما دخلت في الإســـلام أفواجاً لوضـــوح أمرها ونور أهلها بين ســـائر الأجناس وشـــيد مناطها لأن أهلها إنما يســـيرون بأرواحهم ويجتهدون بصـــفاء بواطنهم من الغير والغيرية مع بقائهم على رسوم أحوال العامة من ملازمة ما يجب ويسن ويندب بلا

إفراط ولا تفريط وهي الطريقة الوسطية ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾.[49] ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾.[50] ((**خير الأمة أولها وآخرها**)).[51] ولا تكون الخيرية إلا بصفاء القلوب فكل ذي حرفة في حرفته وكل ذي سوق في سوقه وهو جوهرة المعارف وينبوع الفضائل والمكارم ولا يتنزلون عن أحوال العامة بظواهرهم وبواطنهم على إيمان إسرافيل عليه السلام فإيمان إسرافيل وجبريل وبقية الملائكة أن الله طبعهم على معرفته وجرد ذواتهم السليمة من كل شهوة خارجة عن حضرة الحق فوجهوا كلية أجزائهم وأركانهم لحضرة القدس على سبيل القهر الإلهي فجردهم مولاهم من حظية الجنة والنار والحظوظ وصلح إيمانهم وتمت نتائجه وعمت فوائده فلذلك كانوا رسلا إلى صفوة الخلق الأنبياء الذين من طبعهم ما خلقوا

---

[49] (110) سورة آل عمران.

[50] (39 و40) سورة الواقعة.

[51] الراوي: عروة بن رويم اللخمي | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4078.

منه من الترابية الدنيوية والأخروية بحسب الأصل لكن منعهم مولاهم كل المنع من الميل إلى الترابية الأصلية فوجههم كل التوجه لغاية العبودية حتى فاقوا بالله إسرافيل وجبريل لجمعهم بين البشرية والملكية فأهل هذه الطريقة كلهم على إيمان إسرافيل المجرد عن كل ما يكدره من الحظوظ النفسية وإن رأيتهم على أخلاق العوام ظاهراً فهم لابسوا حلة شيخهم باطناً ((**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**)) .[52] فقلوبهم ممتلئة بحلة شيخهم بحيث لو زلزلت زلازل القيامة وأهوالها وشروطها لا تجدهم إلا على مذهب شيخهم ولا يصدقون إلا على نهج العبودية وتجدهم يحبون ما أحبه الله من الظواهر في الأزمان فلا يتعرضون لحكم مولاهم بقلوبهم وإن كانوا ينطقون بلسانهم بالوقائع الزمنية فمرادهم بالنطق أن يرتبوا عليه الاعتراف بالحضرة وحدة الألوهية فتجدهم يتكلمون ويتبعون الأمر كله لله من غير تعرض لحمله

---

[52] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البيهقي | المصدر: الأسماء والصفات | الصفحة أو الرقم: 234/2.

بهممهم كأهل الإرادة في الثانية لأنه ينافي العبودية إلا إن تجلى الحق فيهم فيفعلون بالله لا بأنفسهم متبرئين منه جازمين بأن الله هو الظاهر هو الباطن في الحضرات كلها ولا يسمون أنفسهم بالبركة وإن كانوا نتيجة البركة فهم عينها في الحقيقة ولا يكتبون الطلاسم بنية التصريف ولا يظهرون بركة هممهم في المرضى بل يكلون أمرهم إلى الله الممرض ويتولون الدعاء له بالبواطن وربما يصرفون المريض لغيرهم مع أنهم دواؤه ليبرأ عن غير دعواهم فينسبون لبعض الخاصة منهم أو من غيرهم ولذلك لم تظهر إلا ثمرات الكونية فتجد الناس غير معتنين لزيارتهم لأنهم لا ينسبون الأحوال لهم بل لا حال ظاهراً لهم لأنهم ملكوا أحوالهم بمتابعة شيخهم حتى إن من ظهرت الأحوال عليه يقابله العارفون من الطريقة بالزجر لينزجر فيقولون له نحن نملك أحوالنا حتى البكاء نملكه بحيث لا تقطر قطرة من عين أحدهم في المجلس ليلا يشار إليه بالأصابع ((**خص بالبلاء من عرفه**

الناس))[53] فمن أراد البكاء فليبك في خلوته مع مولاه لا في جلوته ولذلك تجد من غلب عليه الشوق لحضرة صاحب الشرع في وحدته فإذا دخل عليه غيره من أهل الطريقة أو غيرها يمسح عينه أو يتعمل بأنه يبكي لفقد كذا من الأحباب كالرزايا تستراً لحاله أو يتوجع وجعاً وهو سالم منه ويبالغون في ستر الفقر والسبحة وحال الطلب وحال الذكر وربما يقطع مجلس حضوره بداخل ليلا يتبين أمره ستراً لمراتبهم العلية وأما أهل الطريقة الثانية في حال سلوكهم يظهرون أحوالهم وبكاءهم في المجالس إما غلبة إن كانوا صادقين وإما يعتقد فيهم إن كانوا مراءين فأكبت الناس على تعظيمهم لما رأوا من ظواهر أحوالهم لأن العامة إنما يعتبرون الظواهر ولا ذوق لهم في البواطن فكل من ظهر أمره عند العامة ولم يكن مرشداً إما لكونه مملوك حاله وهو ضعيف الأولياء وإما لنجاسة مخبره لأن العامة لا يجتمعون إلا على من يناسبهم في الحظوظ بأن يقول لهم ببركتنا تلد

---

[53] أورده أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري في كتابه فيض القدير ونسب لفظه للديلمي.

أولاداً ويزيد مالك وتدرك الولاية وتكون في مالك بركتنا أو بركة أسلافنا فإن خدمتنا نحبك ونكفيك المخاوف ونخلصك من المضايق ونحوه فتجد العامة يعظمونهم ويبنون عليهم الأبنية بعد موتهم ومقصودهم الغرض الفاني بل حملتهم المحبة الحظية المنقطعة بانقطاع الحظ فتكثر عليهم الوفود جيلا بعد جيل فلو نبههم عارف عند ذلك بتصحيح الوجهة لله جل وعلا بأن الولي لا دخل له في ملك مولانا بل إنما تبع الكنانيش الإلهية فما نقشه الله تبعه من والاه الله لا كل أحد من الصالحين لأطبقت الأجيال على جهله لأنه ما قرر لهم ذلك فالعهدة عليه فالولي إذا أحب أن يكون له صيت وأن يعظم جانبه بإظهار أثر التصريف الإلهي للبعض يسلب من ولايته فإنه كأنه أحب أن يعبد دون الله وهو فرعون زمانه فافهم ولذلك قالوا (**الشيخ من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله**) فمن دلك على الله فهو أخوك ومن دلك على غيره فهو شيطانك ومن ساعدك على الحظوظ بأن يقول لك أعطيك كذا وأنا منقذك من المهالك بمهجتي ونحوه فقد قطعك عن حضرة مولاك على أنك وجميع الأولياء في

قبضـــة الحق فـالـذي يجـب في هـذا أن يرد من اتهم بالولايـة والتصـريف وبولاية أسلافه قلوب أمة المختار الناصح صلى الله عليه وسـلم إلى حضـرة الحق جل وعلا وأنه المحرك والمسـكن وأنـه عبـد الله لا غير لا دخـل له في ملكه وأنه عبد ضــعيف اعتقد فيه الناس الخير بحســب ما يظهر لهم وأن بركتي هو أن أعينكم على صرف الوجهة والهمة لحضـرة السيد وإن أكبوا عليه يقول لهم فـاذكروا اللـه يذكركم[54] واتقوا معاصــيه وامتثلوا أوامره فـإنهم لا يقنعون منـه بـذلـك فـإن ذلـك يســمعونه في المواعظ والخطـب ولا يعتقـدون في الخطيـب بـل هو إمام لا غير وهذا يقضــي الحوائج بنفسه ومقصودنا إتقان الوجهة لحضــرة المولى الواحد جل وعلا الظاهر والباطن لا أننا أنكرنا المراتب الولائية في خلق اللـه بـل ملك الله يظهر ســره على أيدي أوليائه فهو الظاهر والباطن في حضرة أوليائه فيجب إفراد الوجهة لحضــرة اللـه وتعظيم أهـل ولايـة اللـه باتّبـاع طريقهم القـديم وأمـا أهـل

---

54 ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (152) سورة البقرة.

الطريقة الأولى فإنهم في أصـــل خلقتهم ودخولهم فيها تجلى فيهم صـــاحب الطريقة بحلته المجردة من غير وغيرية فتجردوا عند تلقين العهد لما تقدم من أن النبي كثر تصـــريفه فيها وكثرت أنواره بل ما من واحد دخلها أو أراد دخولها إلا وشـــوقه النبي صلى الله عليه وسلم بذاته الشـــريفة يقظة أو مناماً بحسب الزجاجة على ما يطيقه فينزع صـــلى الله عليه وســـلم في أركانه الباطنية جميع الحظوظ ويقنع باتّباع الشـارع لما وقر في صدره من الإيمان الكامل ويســكنه صـلى الله عليه وسـلم بجيوشـه وشـريعته وإن لم يقرأها فلا قصد ولا يجتهد إلا في إتقان الوجهة فيفهم ذلك كله عند الإذن بلا معلم بل بإلهام فضـــل نبوي فتجدهم كالجبال الراسيات في إيمانهم ولا يعرجون على مرائيهم فيعدون كلام شـــيخهم أقوى ما يســـتدلون به على أحوالهم فتجدهم ينقبضون عند المراءي وعند الوقائع الولائية فيقولون لو كنا محبوبين عند الشـيخ ما رأينا شـيئاً ولا ولينا شيئاً فيتفطنون بالمكر عند مرائيهم كما كان يقول من لا إيمان له إذا رأى واقعة أو كرامة فيشهد على صحة طريقة شيخه بالرؤية الخيالية التي لا

تنضبط في الغالب لاختلاف الأحوال وذلك دسيسة نفسية حيث حكم على الشريعة والطريقة المستمدة لله بخيال أو شبهه والعجب كله لمن يستدل بالمنام على اليقظة وبأوهامه على كتاب الله وسنة رسوله وطريقة شيخه فتجده يزيد في العبادة بشروط الطريقة بمنامه وينقبض عند عدم الرؤية والراءي فلو صلح لاكتفى بما عند سيده من غير تعرض للغيبيات بعالم الخيال صحيحاً كبيراً لكن لا يفهمه ولا يعرفه إلا من فني عن عالم المشاهدة بإتقان الوجهة معتقداً أن لوازمه في قبضة سيده وما على العبد إلا القبول والأدب لحضرة السيد وعليه فلتعلم أن الأمر بحسب المثل كملك عظيم الخزائن والعبيد خلف عنه لعدم مناسبته للعبيد واحداً من العبيد ونزل منزلته وجعل مفاتح خزائنه في يده وأذن له أن يمضي وينفذ جميع ما كنشه وكتبه في كتابه ودفع له كناشاً له وأمسك عنده كناشا كبيراً قدر فيه جميع الأرزاق والوقائع الخلقية ولم يطلعه على جميعه بل أطلعه على بعض الإشارات له تنبيهاً منه على عظم ملكه وأمره وعلى أنه إن بدل في التقادير الرزقية يأخذه

بالكناش المكتوم عنده فيجعل كتمه الخوف من مقام الملك فيســـهل التنفيذ بما عنده وبين له مقصـــوده في أمر ملكه فلما ظهر ذلك العبد بلباس سيده الذي هو الأمر والإمداد وهو من جنسهم والسيد لا مناسبة بينه وبين أهل مملكته لعظمة جلاله وجماله حق على العبيد [55] أمر الخدمة بوساطة عبد منهم وهو حجاب بينهم وبين قهر الملك فخاطبهم الملك على كرســـيه بأن أمره وشـــئونه في يد عبده الخليفة عن ملكه في كل أمر أمر فامتثل كل العبيد أمر الســيد محبة فيمن جانســهم في العبودية فســـرت البيعة في كل روح لأن الملك قال لهم فمن أراد بابي فليلزم باب خليفتي ورضاه ومن أطاعني أطاعه ومن رضي عنه رضيت عنه ومن قبله قبلته ومن أعرض عنه أعرضت عنه ومن عصى أمره عصاني ومن عصاني أغضبني ولوازم الغضب ظاهرة أعظمها التنحية عن حضرتنا وخدمتنا ومن لم يدخله لا مطمع له فيه ومن أدخله علمت أنه حبيبه فأحبه وهو خليفته وحاجب

[55] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بلفظ "العبد".

حضرته ودال عليه ومعلم ومرب والملك غني بنفسه عن الخليفة ورعيته تهديداً للجميع فعرف العبد الخليفة قصـــده وعرفت العبيد إشـــارته ببركة الخليفة فحصـــل العلم القطعي للخليفة بأنه ليس هو عين الملك فإنما هو عبد مثلهم وإنما ذلك ســـياســـة وعرفت العبيد بأن الخليفة ليس هو الملك فإنما نزل منزلته في الأحكام فنصـــب الخليفة حاجباً منهم يظهر أمر ســـيده فكلفه بجميع لوازم ســيده وأعطى له كناشــاً من الســياســة منســوخاً بعضــه من كناشــه وبقيت أمه عنده للمحاســبة والحجة به ليلا يغير ما كلف به فدفع له الخليفة مئونة جميع العبيد تجرى على يده بالســياســة فإن أساء يوصله لسجن سيده ففرق الحاجب جنوداً وكبر على كل جند واحداً ممن رضـــيه وقبله الخليفة فأفاض جميع ما في يده لأيدي كبار الجند وتبع ما رتبه الملك في ســياســة الملك فإن الخليفة له مئونة بلا حساب والحاجب له مئونة مرتبة على أيدي الخليفة مائة مثلا وكبير الجند خمســـون مثلا وقائد رحى العســـكر خمســـة وقائد المائة ريال والمقدم على الجند المخصوص نصف والنفار للعسكر ربع ريال

والنفر المفرد لا تكليف عليه إلا الخدمة الملكية درهماً واحداً والكتاب مثلا ريال لكل واحد مثلا فالنفر بالعرف الملكي يجب عقلا وأدبا أن يعتقد أنه خادم لواء الملك لأنه في زمام الملك وأنه لا يأكل إلا رزقه وليشكر الواسطة الكبير عليه ممن يأخذ مئونته منه بتعظيم جنابه وأنه أقرب منه إلى الملك لأن النفر مقيد في كناشه عند الملك لأنه ملكه وسياسته وتقديره وإرادته فإن خرج عن حضرة كبيره فلا يجد من يقبله في خدام الملك في زمام الملك بأنه يأخذ على يد فلان كبيره أياً كان ولا يحتاج إلى من يعلمه ذلك فالنفر يخدم حضرة الملك وحضرة كل كبير عليه من خليفة وحاجب وقائد رحى وقائد مائة والمقدم بحيث لا يمكن له أن يجرد واحد بالشكر بل كل واحد كبير عليه ممد له وهكذا إلى حضرة الحاجب وإلى حضرة الخليفة والمرتبة العليا تمد السفلى ولا منة للسفلى على العليا إلا بالامتثال أدبا فحينئذ يراعي حرمة أدبه حتى يرتاض فالخليفة لا يأكل إلا ما قدره له الملك ولا يعصيه لعظم أمر الجلال المشاهد عنده وكذلك الحاجب لا يعصي وإن أمكنت منه

المعصـــية للحجاب بينه وبين ســـبحات الجلال لكنه ممنوع بالاصطفاءِ وجلال الخليفة والكبير على الجند لا تخطر المعصية في قلبه لما دهمه من صحبة الخدمة النظامية بل لا راحة له إلا في تنظيم أمر الملك ولما دهمه من جلال الحاجب وقائد الرحى ففني بالشجاعة حتى لا يعرف وجه المخالفة لأنه سيف الملك ومنظره وقويت عليه قوى الملك لأنه يده وقائد المائة يخالف في بعض الوقائع لملاحظة من دونه لتكون له يد عند كبيره ففشـل عن القوة بحظ نفسه حيث أحب أن يحبه كبيره وقلّت ملاحظته للملك وأما من فوقه فلا حظ عنده بل أغرقته سبحات من فوقه مع الوقوف على التنفيذ والتنظيم والشجاعة الحالية والمقدم على النفر يخدم على وجه الخوف مع رعاية شـهوات نفسـه ممزوجة بنخوة أمر قائده والنفر يخدم مع الجسارة عن حضرة مقدمه من غير تعرض لشـيءٍ زائد عن صائر نفسه مع القيام على ساق الجد في الطاعة معرضاً عما اشتغلت به ولاته والنفار شغلته النفارة في بعض الأوقات فلينته بها ومن تبع الجند من الضعفاء والمرضى فسهمهم الرخص لا

دخل لهم في أمر التولية الملكية وهم ونســـاءُ الخدام وأولادهم قبل التولية وأهل الحرف المعاشـــية قبل التولية إن كتبت وكل من تبع الملك لكرمه أو سطوته من غير داعية العبودية المحضة في بحبوحة الفضــــل وهم مظاهر أهل دولته وأهل دولته مقصـــودون للملك فظهرت آثار مظاهره فيهم فمثال الملك له المثل الأعلى خالق الخلائق جل وعلا ومثل الخليفة عنه إطلاقاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثال الحاجب خليفته صلى الله عليه وسلم في كل عصـــــر رسولا أو نبياً أو قطباً ومثال الكبير على كبراء الجند الأمير اليميني في الديوان ومثال كبير على بعض الجند الأبدال ومثال قائد الرحى أهل الأحوال من الأولياء فهم سيوف الله فهم أنفع الناس بهممهم وأضرهم بها لعدم الصبر على المقادر مضربين شجاعتهم وغيرتهم على رعية الملك وحرمته من آداب الحضـــــرة الإلهية فتساعدهم لقوة غيرتهم مرة وتقهرهم أخرى لســـوء أدبهم وهم فانون عن أنفســـهم مغلوبون بسبحات الله ومثال قواد المائة من دونهم من الأبرار والصالحين المســـتنجدين لله ومثال النفر بقية المســـتخدمين في الولاية

الظاهرة كالخطط فهم أكثر الأولياء تبعاً وبعداً وخدمة مع عدم الأدب ومثال النفار مثال القصـــاص من الوعاظ وأهل الخطب فهم وإن تعلقت مصـــلحتهم بجميع الجند لكن لم تغنهم الهمة بالأعمال ينفعون بنفس أشـداقهم بلا أدب وعمل صالح بإتقان الوجهة بل يجعلون العلم صـــنعة وحرفة للكســـب المعاشـــي ويعدون ما بيد غيرهم من الحرف أعظم مما عندهم فلو وجدوا السـبيل للولاية والتجارة لتركوا الخطب فهم خدام في سـياسـة الملك بلا قصـــدها بل لحرفة يســـتغلون غلتها بالخراج المالي ومثال الضعفاء والمرضى ونسـاء الخدمة ومن تبع الملك لكرمه أو لخوفه بقية عوام الخلائق الذين لا دخل لهم في أمر سـياسة العالم بل هم فلاحون مثلا وتجار فهم ســـهم الرخص فكبير الجند ومن فوقه طريقة محمدية لتجردهم من الغير والغيرية في كل عصـــر فهم محل نظر الله في كل عصر لصفاء طوياتهم من الحظوظ وهم المربون في كل عصـــــر على الحقيقة وغيرهم من المدعين إنما يضـلون عن الطريق المســـتقيم وقواد الرحى رجال الغيرة لا غير تجلى فيهم الملك بقوة الغيرة لا يصلحون للمشيخة

لوفور صــــولتهم وقـائـد المائة مرب لمن دونه تربية مقيدة بمقدم المـائـة ومقـدمـه كـذلـك فلم يطلق لهم في التربيـة لقوة حجـابهم والمقدم مثال بعض المربين بتربية خاصة لقوم مخصوصين ومثال الأولياء الذين لم يعط لهم السراح لحضور الديوان الملكي الذي تـدون فيـه آراء خـدام الدولة على اختلاف أجناســـهم ومراتبهم ســياســة لا غير وترتيباً لأمر الملك ولا ينفذ إلا ما أراده الحق جل وعلا وإنمـا تجليـات الأســـمـاء تتلون في رجال الغيب ولا يبرز إلا ما دون في كناش الحق المكتوم بالنفر العســكري لأنه خـادم في الانتظـام بـل هم المقصـــودون بالتنظيم وهم كثيرون أقلهم مائة ألف وأربعة وعشـــرون ألفاً فلم يكن بلد من بلاد الله إلا وفيه واحد تنظم عليه الأمور الحقية فإذا انتظم بالمثال علمت أن رجال الغيب المعتبرين المؤيدين الصحابة في كل عـصر وهم الذين تبعوا مقتضى إيمان صـاحب الشـرع صلى الله عليه وسلم الـذين عبـدوا الله من غير ملاحظـة حظ نفســـي دنيوي ولا أخروي حتى أتاهم اليقين أمر اللـه بالرجوع الكلي إليـه ومعنى الرجوع الكلي فناء الذات الترابية الغليظة التي شـأنها الركون إلى

أمر شـهواني فإذا سـحق الله مراسمها بالمراضيخ الملكية صارت الروح موصــولة بلا حجاب القارورة الجثمانية وكذلك من تبعهم من الأقطاب والأفراد والأوتاد والصـــديقين والأمراء والنقباء فهم على طريقة محمدية ولذلك صـــح ظهور أوامر الله فيهم وغيرهم من أهل التـــصـــريف مائلون بعد القرون الثلاثة عن الطريقة الأولى لأنهم باعتبار مقام المحمديين كالعوام الحمقى ببشـــريتهم فإذا علمت أن الثقلين على قســمين قســم مســتخدم في أداء الســياسـة الملكية وهم النفر إلى من فوقه وقسـم اسـتخدمتهم نفوسهم واستخدموها تارة في مرضات مولاهم وتارة في مرضات نفوســهم وفي الحقيقة لا يســارعون إلا لنفوســهم فإن جدوا على نفوســـهم حتى اســـتعلوا على أحكام الله وتجبرت نفوســـهم فهم أرذال العوام الكفار وإن لم يصـــلوا إلى حد الاســـتعلاء بـل يخالفون لنفوســـهم مع تقيد قلوبهم بـدين الله على يد نبيه وإنما يلعب بهم الهوى فهم عامة المومنين في كل عــصــر ثم الخلائق قسـمت إلى ثلاثة أقسـام أيضاً عامة وخاصة كقواد الرحى ومن دونهم من أهل الانتظام الملكي وخاصــة الخاصــة وهم العارفون

الأعلون فمقام الخاصة مقام الإيمان المصطلح عليه عند القوم ومقام العامة الإسلام ومقام خاصة الخاصة مقام الإحسان وكل مقام له مواقف ثلاث يقف فيها رجال مناسبون للمواقف فالعامة على ثلاثة والخاصة على ثلاثة والعارفون على ثلاثة فكل جنس يقف لموقف يناسب همته ولم يجز مقام الإحسان في كل زمن إلا الرجال المحمديون فهم المحسنون وجهتهم المتقنون إفرادها لحضرة سيدهم والخاصة يعبدون للجنة لا لله وعبادتهم صحيحة في ظاهر الشرع بحسب ذوق مقامهم وفاسدة قطعاً بحسب ذوق المحسنين العارفين والعامة يعبدون للدنيا وللحفظ من النار فعبادتهم صحيحة بحسب ذوق مقامهم وناقصة عند الخاصة لعلو ذوقهم عنهم فالمقامات الثلاثة جميعها دين كامل والأول فقط ناقص والثاني مع الأول ناقص والثالث مع الأولين كامل جداً وعليه فالدين الكامل ما كان عليه أهل الطريقة الأولى من الصحابة والكبير ومن فوقه وما شاكلهم في دينهم من إفراد العبادة لله بالله وعلى الله وفي الله حتى جلس على كرسي العبودة المتولدة عن العبودية فالعبادة مقام الإسلام

والعبودية مقام الإيمان والعبودة مقام الإحسان وعلى نهج الطريقة الكاملة السنية رد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أمته ولبابها وخيرتها وميزها من حثالتها ونقاها بتربيته على الوجه الأكمل على يد صاحب الطريقة الأولى المشار له عند أهل الذوق السالم في كل عصر من زمن الصحابة إلى ظهوره في حدود السبعين من القرن الثاني عشر وقد أكثر جده على الطريقة . [56] الأولى بهمته وعلمه سيفه أسد الله حيدرة سيدنا ومولانا نعمة الدين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بجوهرة أصل النبوة وتفاحة الجنة الملكية الآدمية الحورائية وبجواهر الخلافة عن الله نور القطبانية في أولاده إلى يوم القيامة الكلام عليه وعلى مقامه وعلى أنه حجاب بين الطوائف كلها وبين سر النبوة ووصفه بالختمية الكنزية الكتمية وصار هو سالا سيفه على طريقه حفظاً لحرمة أهلها لأنها مفرعة عنه في كل عصر وفتح باب المجال لكبار بحار الأولياء في كل عصر حتى عقد

---

[56] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "طريقة الأولى".

كل عارف بيعته في الغيب وسماه بعض الأكابر باسمه ولم يميز بلده وادعى قوم مقامه ثم تبرءوا بإذن إلهي إلهامي لعظم مقامه ومقام أتباعه فلما أبرزه الله ذهبت نجوم الأفلاك الولائية لستر مقامهم بظله فصار لا يظهر أحد إلا فيه إلى قيام الساعة وينفر على ما كانت عليه الطائفة الثانية من الركون إلى الكشوفات الكونية وبين دسائسها وأنها طريقة معوجة كل الاعوجاج فالطرق ثلاثة طريقة الجنة معوجة إلى جهة القلب وهي منحرفة عن الحق كل الانحراف لولا فضله جل وعلا لأذهب رسوم وأطلال أهلها لسوء أدبها لأنهم سافروا إلى غير الله واستعملوا القربات التي وضعت لعبادة الله في طلب غيره الذي هو حظهم الشهواني في الجنة ذاتا ونعيما وطريق النار معوجة منحرفة كل الانحراف عن الحق جل علاه إلى جهة شمال القلب وهي طريقة فاحشة حلوة خضرة وطريقة مستقيمة معتدلة محجة بيضاء لا كدية ولا وادي ولا قاطع ولا تعب ولا تقشف فيها وهي طريقة الحضرة القدسية الحقية وغيرها باطلة في عرف

العارفين أهلها وهي ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ [57] ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء**﴾ [58] التي هي طريقة الفضل الإلهي طريقة الحمد والشكر وطريقة الخلوة القلبية لا البدنية المجردة عن كل ما يشغل ويحجب عن سبحات جلال وجهه جل وعلا النقية بلا احتياج إلى التصفية بل هي صافية بصفاء أهلها بالفطرة الإسلامية بحيث لم يحدث أهلها قصداً يقطعهم عن سيدهم بل بقوا على ما كانوا عليه في عالم الذر عالم البرزخ القاهر كل جوهر وعرض بخرقه العوالم كلها من أرض وسماءٍ وجنة وعرش مبدئه من الأرض السابعة وهي متسع جداً لسعة مجال العلم فيه وهي مسكن الكفر والشرك أهل الخلود في غضب الحق جل علاه فكل روح تقابل مقامها الذي أريد بها وأعلاه أضيق الأشياءِ لقلة وذهاب رسوم العلم الفطري فيه وهو مقام سيد العوالم صلى الله عليه وسلم خارقاً العرش سقف الجنة فالروح فيه مجردة من الغير موجهة لسيادة سيدها لعظم

---

[57] (7) سورة الفاتحة.

[58] (69) سورة النساء.

الجلال وقهره بالمعاينة فإذا علمت أن الذي يعبد الله على الحقيقة أهل الطريقة والمربون المشايخ الأكابر قواد الطريقة الثانية بعد تصفية بواطنهم من الحظوظ النفسانية ظهر لك أن القرن الثاني عشر مفضل على القرون قبله لمن حل غير القرون الثلاثة الذين سلكوا إلى الله بلا قصد شيء يوصلهم لأنه ظهر فيه نائب النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة إلا على ما يدل عليه صلى الله عليه وسلم من توحيد العبادة لحضرة الجلال مضربا عن الخواص وفضائل القربات بحيث لا يلتفت إليها ولا يركن لها ولا يترك تابعه يتشوف لها عالماً بأن الفضائل إنما ذكرت تشويقاً للمريدين لحضرة المهدي جل وعلا لا إلى الهدية فقسم العبادة إلى أربع قاصد بذكره غرض نفسه من الدنيا والآخرة والفتح والكشوفات والأسرار والعلوم بحيث لم يستعمله إلا له فهو شرك حرام فهو ظالم قطعاً قاصد بذكره وجه الله مع ملاحظة حظه بخاصية الذكر فهو أخف من الأول وهو شرك وقاصد بذكره وجه الله لا غير مع ملاحظة قضاء حاجته عند اختتام الذكر لا بقوته ولا بطبعه ولا بخاصيته فهذا عابد لله

مع نقصان مقامه بالملاحظة وهذا المقام هو مقام ضعفاء طريقته وهو مقام الجهل في مرتبة الإحسان وقاصد بذكره الخاص العبودة للعبودية قبلها من غير تعرض لرائحة غرضه عند التلبس بالقربة وكذا بفور قربها قبلها وبعدها بل فنيت مراسمه عند ذكر جلاله بالهيبة وعند ذكر جماله للأنس وعند ذكر رحمته بالفرح وعند ذكر كرمه بالشكر وعند ذكر قهره بالخوف وعند ذكر قوته بالضعف إلى ما لا نهاية لصفات الرب فكلما ذكره بصفة لبس حلة ضده فيذكر امتثالا واستحقاقاً أو شوقاً أو غلبة بلا تعمّل فيه بل يذكر الله بالله لله في الله فانياً عن نفسه بذكر أوصاف سيده قانعاً أن كان آلة يحركه الله لمجاري أقداره وهو الذي خلقها وعرضها لما شاء وحصل له العز الدائم بسيده فعزه قديم لا يفنى وملكه ملك سيده لا يبلى ومدده من سيده لا ينفد وعلمه علم ربه وهديته هدية سيده لا تنقطع لأن فعله فعل واحد فكمل وارتقى لحضرة سيده مضرباً عن عمله مشاهداً عند مباشرة عمله سراية فعل سيده وأنه لا تأثير لشيءٍ مع الله فأهل الطريقة الأولى كلهم عوامهم وخواصهم منزلون منزلة

المشائخ في الطريقة الثانية لأنهم أحسنوا عبادتهم ولا يمرون إلا به ولا يحبون إلا المحسنين ويكرهون أهل الدعاوى للولاية أي من يحبون الولاية لأنه يناقض العبودية فالعبد عبد وإن قربه سيده فسيده هو الفاعل وهو محل فعل سيده وهو مقهور بالملك والعجز والتحجير عليه بحيث لا يعطي ولا يمنع إلا به فهو غاية الذل لو عرف فعرف ذلك أهل الطريقة الأولى وتجردوا من دعوى الولاية وإن كانوا أولياء بالله ولا يظهرون ذلك بل يباشرون ما كلفوا به ولم يروا لأنفسهم عملا ولا قدراً لأنهم علموا حق العلم بأن الولاية الحقيقية للسيد والعبد وإن عظم أمره عند العبد فإنما ظهرت عليه عظمة السيد وهو مجرد منها لأن العاقل لا يعتبر إلا الأصل الذاتي فأصل العبد ذل الملك والتحجير والضعف والفقر حيث لم يملك نفسه فضلا عن غيره وإن تذلل العبد فذلك عزه وإن تعزز بعين الذل الحقيقي فالمطلوب من العبد إتقان الوجهة بظاهره كما أتقن باطنه الذي هو أصله فأصله بالغ نهاية العبودية طائعاً أو عاصياً لكن العبرة بالظواهر فإن وافقت البواطن فهو عارف وإن خالفت فهو

جاهل عبودية أصـــله من عرف نفســـه عرف ربه فتجرد أهل الأولى ولا يحبون إلا الشـريعة فيترتب عليه حب ما استحسنته وبغض مـا اســـتقذرته ((**الحب في الله والبغض في الله من الإيمان**))[59] ولا يشـتغلون بإزالة الحجب بل رضـوا بما هم عليه وهو عين الفتح فمن أتقن وجهته وأحب الشـــــريعة فامتثلها وتجنـب كـل مـا حـدث بعـدها فهو العارف وإن كان ظاهره من جملة العوام فمن كان بصـيراً بالأمور ثم غمض عينيه فهو عارف كفتحها (لو كشـــف الحجاب ما ازددت يقيناً) فعليك أيها الأخ بالانتظـام فيهـا راضـــيـاً أن تكون منهم أو محبـاً لهم فهم عين العارفين الذين ظهروا بالمشــيخة وإن لم يعرفوا عقبات السـلوك فإنهم أقرب ممن عرفها ويعلمها للناس ويشــتت فكره بها في أول سـلوكه ومن أحسـن وأمسـك عن الخوض في الإرادة التي هي عين الحجاب مضـــرباً عنها فقد فتح عليه أكبر من كل فتح وما يترتب [60] عن إحسان الوجهة إنما هو غلة إتقانه ولا يعرج على

---

[59] الراوي: عائشة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4918.

[60] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يترب".

الغلة بل على الأصـل لاسـتلزامه الغلة فتجدهم فانين بالأصـل كاتمين أسراره لأن من ملك الأصل يعرف الغلة ويستغلها أحبها أو أضـرب عنها لأن الغلة ناشـئة قطعاً عن الأصـل بالله فمن وجد بعض الغلة عند غيره بهدية أو كراء نقص مقامه عمن ملك الأصـل والغلة فشـد يديك معاً عن الطريقة النبوية التي بينها سـيده بوحي إلهي ورد خاصـة أمته إليها بعد أفول نجوم بوارق الطريقة الثانية ولتعلم أن صـاحب الشـرع الآن صـلى الله عليه وسلم قائم بأهل الطريقة الأولى كزمانه بل أشد منه لأن زمنه فيه السـيف وهذا الزمان إنما فيه سـيوف أنواره ويقتص من أهل البدع بإمسـاك أنوار جماله وشـريعته عنهم حتى يرجعوا إلى الله فإذا تمهد لك بالأدلة أن الطريقة الآن إلى قيام السـاعة هي التي كان عليها أهل الهجرة والنصـرة وأنها مناقضـة كل المناقضـة لها لأنها حاكمة على الثانية دون العكس ولا يسـتدل بأحوال أهلها حال السـلوك من اجتهاد وخلوة على الأولى وأما شـيوخها المسلكون بسـياسة ترقيق الحجاب فتقدم أنهم من الأولى وإنما فعلوا ما فعلوا لغرض السـياسـة لا غير وهم عالمون بأنها معوجة

لغرض تمنية الضعفاء لا غير وأما هم فغرقى في بحور الإحسان
ولذلك يوجهون الناس في آخر أمرهم الى حضرة الإحسان
وعليه فما يذكر في الكتب المؤلفة في الثانية كإحياء علوم الدين
وجواهر الخمس وقوت القلوب إنما نطالع كتبهم لسعة في
أحوالهم تدبراً بها لا غير وأما أهل الأولى فلا تناسبهم إلا عوائد
وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ومن ورثه إرثاً كاملا بإتقان
الوجهة فتتبع أخلاقه صلى الله عليه وسلم يغني عندهم عن كل
حكاية من الثانية لاختلاف الأحكام وعليه فقد أخذتني الغيرة
حتى ارتعدت فرائصي عن الطريقة الأولى التي تخلط بالثانية
بذكر همم أهلها فهممهم قاطعة بحسب ما في كتبهم لكن لطلب
حظ لا في العبودية التي هي عين العز لكل عبد فلا أحب من
يطالع كتبهم ممن لا خبرة له بما سطرناه وإن كان محسناً لأن
المحسنين منهم من عرف وجهه ومنهم من أحسن من غير
مبالاة بالعواقب والنتائج وهم العامة فيه وعامي المحسنين أعظم
من سائر أهل الثانية قبل التجريد وأما بعده فهو من أهل الأولى
لأن شيخه مجرده فعلى أهل الأولى مطالعة سير نبيهم وهو

الشـــيخ الأكبر لأهلها لأنه صـــلى الله عليه وســـلم قال لحامل ألويتها ((**أنا شـــيخك ومربيك وكافلك فلا منة لمخلوق عليك. وقل لأصـحابك لا يتعلقون بأهل الثانية**)) المســمون في عرف العامة بالأولياء لظهور الكشـــوفات على يدهم وأما أهل الطريقة الأولى فلا يسمون عندهم أولياء لأنهم بريئون من دعوى الولاية عالمين أن الولي هو الله محتشـــمين منه وأن صـــرفهم مولاهم تصرفوا به وكتموا أمر الخدمة الملكية فافهم قوله **لا منة لمخلوق عليك** وكذا على أصــحابك متكلماً صــلى الله عليه وســلم عن لســان الله في قوله لخ وعن لســانه في قوله أنا كافلك ومربيك بأمر من الله جل علاه تظفر بكنز سـر الصـحبة منه ومن أتباعه فاقنع أن تكون من أصحابه صلى الله عليه وسلم ولا تطلب أمراً زائداً عنه فشـــد يديك عن مقامك الذي هو الإحســـان مطلقاً شـــاكراً لأنعمه مجتباً مختاراً للحضـــرة القدســـية منعماً بها في الحضرات كلها سواء أزيل الحجاب أو ثبت لأنه في حقك عين الكمال ولا تغفل عن سيرة شيخك آخر عمره لأن النسخ يكون في الطريقة كالشـــريعة لأنه إنما هو إشارات صاحب الشـــرع

شيخه وقد قال شيخه: **واجتهد في النفس وعدم القصد فإن للحضرة الإلهية بابين باب مفتوح وباب مسدود فإذا برزت العبادة من صاحبها بقصد شيء من أغراضه ولو معرفة سيده ورضاه تمر عبادته إلى الطريقة الموصلة لباب مسدود عليه فتحجب عبادته ويحجب صاحبها واذا برزت من صاحبها بلا قصد شيء معها تمر في الطريقة الموصلة إلى الباب المفتوح فتجده مفتوحاً فتدخل ويدخل صاحبها ويقبلان معاً** وذلك غاية الأدب وهو أدب العارفين فإن توجه بعبادته لطلب وصل حضرة سيده ليرضى عنه فعبادته صحيحة غير سالمة من شوائب الحظ فإن أتقن العمل بالشروط يدر له الفلك به وهو متعمل والفضل لا ينال بتعمل ولا بتكسب فإذا تبعت سيرة شيخك كما في كتبه بعد موته حصلت على حقائق الدين كلها لأنه إمامه ومحييه ونائب في التشريع والتوصيل وغاية سيرته تجريد النبي صلى الله عليه وسلم له من كل حظ فقال له **فلا تقصد شيئاً فإن طلب الفتح معوق له في الطريقة الأولى** فإذا تجردت لشيخك أنك في قبضة سيده وأنه لم يكن على الحقيقة غير الله

وعبيده أعوان مملكته فيجب عليك أن تحب سيدك وتحب له عبيده على مقتضى الشريعة بحيث لا تميز كبيراً من صغير ولا طائعاً من عاص فإن أعلمك مولاك بهم فاخدم سيادة ساداتك العبيد ونزلهم منزلة سيد حاكم صائل فاخدم حضرتهم على مقتضى إشاراته جازماً بأنه هو الهادي الفاعل بالاختيار وأنت مضطر في المباشرة وإن جعلك كبيراً أو قائد رحى فاعلم أنه ترتيب الملك لا غير ولا حظ لك في العمل والاستعمال فإذا عرفت ربك فاعلم أنك لم تعرفه بنفسك بل هو المعرّف لك وإذا فنيت فاعلم أنه هو المفني لك فإن وحدت فهو الموحّد فإن علمت فهو المعلم ﴿**سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [61] حكاية عن المخلصين الموحدين المفردين الذين لا حظّ لهم مع ربهم أصلا وإن استعملك فهو العامل وإن أهملك فهو الفاعل ولا حظ غير أنك مظهر أسمائه فإذا تعدت عليك سيادة العبيد فلا تنظر فيهم إلا وجه سيدهم سيدك

---

[61] (32) سورة البقرة.

واصبر لأذاهم فإن الإذاية اقتضته سيادة متعددة فبعض يحبك منهم وأكثرهم يحب تأديبك بالقال والفعل ولم يكن فيه إلا الله لأنه المحرك لهم فلا حظ لك في مقابلتهم بالإساءة ولا بالمسامحة لأنه محركهم ومكلفهم وإنما يسمح الإنسان إن ظلم فأنت عبدهم مكلف بهم ولا تنظر حالتي الإحسان لك ولا الإساءة غير سيدك الحق ظهر أثره في الخلق ومن ضربه عون القاضي فإنما ضربه القاضي لا العون وعليه فلا تشاهد غير مولاك لأنه مع ظاهرك وباطنك بذاته وصفاته وأسمائه غير بعيد عنك بل أنت حادث طارئ في حضرة وجوده خيال في حقيقته جل وعلا فلا تحب إلا مراد الله من غلاءٍ ورخص وفرح وسرور وبسط وقبض في حقك وفى حق ساداتك العبيد وقر عينك بهم فهم مراسل سيدك لك بأي أمر وعليه فانظرهم أعواناً وأكرم مثواهم وارض بحكم ربك فإنه أليق بك فلا تشتك بهم قطعاً لأنه عين القطع عن حضرة ربك فإنك لو فهمت عن الله لوجدته الفاعل فتشتكي بسيدك لسيدك بل واجهك أحد منهم بإذنه تنبيهاً لاستجماع أدبك وفقرك وقد أكثر البلاء لأكابر

الرســـل والأولياء ليكثر شـــهود مولاهم في كل فتنة من الخلق ليزيد كمـالـه وعلمـه بفعـل ربه ونفوذ أمره في كل ذرة من ذرات وجوده فأكثر الخلق صبراً لعبيد سـيده سيد الكل وإمامه صلى الله عليه وسـلم لشـفوف مرتبته عند مولاه بمشـاهدة سـيده في كل شـيءٍ شـيءٍ ويقنع مما سـواه أتم قناعة ثم من يليه من لبس حلته الكاملة من الرسـل والأولياء تنبيهاً على مشـاهدة الحق في حضرة الحق فيعظم قدره عند مولاه بالجمع بين حضرات الحقية في الخلقية حلواً ومراً ثم إن الأمير يجب عليه نظراً أن يعتقد أن المقصـود عند سيده بالذات الرعية لا الخدمة لأنه إنما هو سهم المخـدومية والمخـدوم أعز عنـد المؤمر فـإن صـــلح وإلا يعزله ويولي غيره هـذا أدبـه الأليق بـه ويجب على الرعية أن تعتقد أن الأمير عليهم أعظم منهم لأنه يشـاهد حضـرة السـيد وهم بمعزل عنها إلا بإذن أميرهم ومعونته وبركته وشفاعته فمن صلحه الأمير عند السيد صلح ومن جرحه عنده انجرح ويعظم أمره ويتأدبون بأدبه ويتولهون بحبه وشـــأنه وذكره وتعظيمه معتقدين أن تعظيم أمره من تعظيم الله ويعتقدون نفوســـهم بمنزلة أولاده الضـــعاف

الصغار متضرعين لأميرهم فيما نابهم متوسلين به لحضرة السيد فهذا أدبهم ومن أخســـر الميزان ضل ضلالا بعيداً عن الأدب ولا تتعرض لأجرة على الولاية لأنك عبد لا أجرة لك وقول بعض الأصفياء ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ**﴾ [62] فمن باب خطاب الناس بما يفهمونه لا أنه صـــمم على الأجرة فإذا تجردت من الثواب والعمل والولاية بحيث أدبرت عن نفســـك ولوازمها وفنيت عنها كل الفناء العلمي والذوقي أشـرقت عليك شـموس الأسماء والصفات فإن فنيت عنها بالذات أشرقت عليك بحور شـــموس بحر العمى الرباني فتنســـد مســـامك بعد افتتاحها بالأســـماء ويبقى انفتاحها وانســـدادها وتفنى المســـام الظاهرة والباطنة وتطلع شـموس سـماء غيبة أنســه في سـماء هيكلك الفاني فيبقى هباء اندقاق سـماء أرض بشـريتك موصولا بسـماء أرض ســيدك مفروقاً معها مجذوباً بمغناطيس هيمان الســعادة الكرمية فتكون أنت ولســـت أنت بل ترياق معاجين الرحمة

---

[62] (72) سورة يونس.

الربانية لحضرة الرضى الخلقية فتصير معافاً بعافية سيد الكل وهي التي كفلها من حضرة سيده التي هي عين الفناء والصحو في كل تجل ذاتي أو صفاتي فتجلى بمقام حلة الاسم الذاتي المطلسم عمن ليس من جنسك ممن سحق ودق وأحيي بنبات بذر اسم سيدك الحي فتحيا لك وبك أغصان السعادة الفضلية فتسعد بنفس واحد منك العوالم الرحمانية الخاصة وعليه فلتعلم علم ذوق وهبي بأن الكتب الربانية ما كتبت وكذا الأنبياء ما نبئت ولا أرسلت إلا لأمر واحد ومطارقتهم لموضع واحد وذوق إشارتهم لمعنى واحد وكذا العلماءُ ما ورثت وأرسلت نيابة ولا ألفت ولا سهرت ولا قصدت ولا توجهت أقوالهم إلا له وكذلك الذاكرون ما ذكروا وكرروا الجلالة والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لذلك المعنى لا غير يفهمه من آمن إيماناً كاملا وهو توحيد العبادة لحضرة السيادة الحقية فشرع جل وعلا الشرائع الكثيرة وأرسل رسلا كثيرة له لا غير فهمه من فهمه وصار عارفاً بربه وجهله من جهله وصار غريقاً في بحر العامية الصرفة وعليه فاعلم أن الإنسان مركب من ذاتين

ذات روحانية باطنية وهي أعظمها مقصـــودة بالخطاب الإلهي وهي نور صرف لا يعلمها إلا من تخلق باسمه جل وعلا الباطن وهي لا يناسـبها إلا بحر الأنوار الربانية ومأكلها ومشـربها ومركبها وملبسها في العلوم النقلية ثم الذوقية اللدنية الوهبية ولا حظ لها في التراب ولا في نبـاتهـا من حيوان وجمـاد وحـب وغيره ومسـكنها البرزخ وما اشـتمل عليه من روائح ربها فلا تحب إلا لذتها وهي التنعم بحضـــــرة سـيدها ولوازمها من أزمنة البرزخ والآخرة وأمكنتها وهي في أصـل خلقتها عارية منعمة صـافية من كل كدر عن حضـــــرة مولاها ولا تحب الجنة إلا لأنها مظهر سبحات وجه سيدها فتفرفر عند سماع الجنة له لا غير والثانية ذاتية ترابية غليظة كثيفة فلا يناســـبها إلا التراب وما ينبته فلما نبت من تراب غليظ لترابيته وثقله أرأيت أن الدنيا أثقل وأغلظ من الآخرة ونعيمها وكـذلـك كلما نبت من التراب من الحيوان والجوامـد والنبـات والنعيم وعليـه فأكلها ومشـــربها وكل منافعها مقصـــور على التراب ولوازمـه بحيـث لا تعيش يوماً واحداً إلا بـأصـــلها التراب وهو أمها وأصـــل الروح وأمها روائح الآخرة

وأنوارها بحسب أسماء الله فيها لا بها ولا معها بل بتقدير صاحب الملك جل علاه لا غير فكتبت الكتب من الحق سياسة ربانية خارجة عن سياسة العقل بل تقدم أن العقل إنما هو نور للسياسة الشرعية وبعث رؤساء الملائكة إلى رؤساء الثقلين الإنس والجن أهل التمكين والرسوخ في بحور مقاصد التصريح والإشارة ليميزوا للثقلين الذاتين ولوازمهما وما لا يكمل صلاحهما إلا به من أكل وشرب إلى آخر مقتضياتها يعرفه من وفق فوضحت الرسل تصريحاً وتلويحاً أن الذات الترابية الظاهرة يجب عليها وجوباً شرعياً عقلياً أن تشتغل بالأسباب العادية التي علّمها جبريل لسيدنا آدم عليهما السلام من حرث وتجارة وحرفة وكل تحرك تنفعل عنده بالله لا غير مقتضياتها من أكل وشرب إلى آخر لوازمها فبين الكتاب من الله أن الذات الترابية يجب أن تلازم الأسباب العادية التي علق الحق جل جلاله أرزاقها بها على سبيل تغميض العين عن رؤية سر القدر الإلهي لا غير لأن الرزق يكون بالأسباب فالأسباب إنما هي عاديات والعادة تتخلف بخرقها فالنار تحرق بالله لا بنفسها

ولا قوتها ولا قوة فيها ولا طبع فيها ولا خاصية أرأيت أن إبراهيم عليه السلام خرق الله له عادته فكانت سلاماً أرأيت أن العادة المتعارفة في أمر الولادة أليس خرقها الله في آدم وحـــــواء وعيسى وكذلك الموت قد خرقها الله للروح بجذب من الجسد ولا تموت وكذاك الحيوان يخرج من الحيوان فأخرج الله الناقة ناقة صالح عليه السلام من حجر وأخرج من أصابع[63] سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الماء . [64] وممن ورثه وقس عليه جميع العادات الإلهية التي نصبها لنا أمارة على سر قدره لا غير فلا تغتر بالجمود عليها ولا بالخرق فإن الفاعل واحد فيهما فلا تعول الترابية على سبب بل على سيدها فإنما الأسباب تغميض لا غير فترك الأسباب معصية والاتّكال عليها كفر لأنه عول على

[63] أنَّ النبَّي ﷺ دَعا بإناءٍ من ماءٍ، فأُتِي بقَدَحٍ رَحراحٍ، فيه شيءٌ من ماءٍ، فوضَع أصابعَه فيه، قال أنسٌ: فجعَلتُ أنظُرُ إلى الماءِ يَنبُعُ من بين أصابِعِه، قال أنسٌ: فحزَرتُ مَن توضَّأَ، ما بين السبعينَ إلى الثمانينَ.
الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 200

[64] سقطت من الطبعة الأولى بدرب غلف.

غير سـيده والسـبب غير فإن الله يحب العبد المحترف . [65]
ويكره البطال وهذا ظاهر الشريعة تصريحاً أو تلويحاً مع سياسة انطوت الشريعة عليها في أمر الأسباب ألا تشغلك عن الله تعالى وأن لا تضر بها نفسك ولا غيرك بحيث لا تأكل أموال الناس بالباطل بكالربى فإنه يغير القلب وكالسلف بمنفعة وكالتدليس فإنه يغير القلب وككتم العيب من نحو الرقيق وكترك الزكاة فإنه يضر بالمساكين وكأكل الميتة فإنه يضر البدن والتراب والتصريف في ملك الغير فإنه يؤذيه وكالنطق بكلمة الزور فإنها تحرقك بنار ظلمتها وظلامها وكالسباب فإنه فسوق يؤذي المومنين ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ . [66] وإذاية الله بإذاية المومنين فدله بوحدانية ذاته وأفعاله وصفاته بحيث يعلم أن لا تأثير لغير الله أياً كان فرتب وعيداً على من أهلك نفسه لأنه عبده أو أهلك

---

[65] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 551/2.

[66] (57) سورة الأحزاب.

غيره لأنه عبده ورتب وعداً لمن نفع نفسه أو غيره لأنه من عيال سيده وأما السيد فغني عن الغير كله فالشريعة ونتائجها ووعيد مخالفتها مصلحة للعبد لا غير لا حظ ولا غرض لله فيه بل هو منزه عن الأغراض جل علاه ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ . [67] ويدل الكتاب من الله الذات الروحانية على الأسباب العاديات التي نصبها الحق وعلق بها أرزاقها بحيث لا تأكل ولا تشرب إلى آخر مقتضياتها إلا من نتائج الأسباب عادة والعادة تتخلف والأسباب أمر بها الحق جل علاه فيمتثل أمره ولا يعول عليها ولا نتائجها بل يعول وجوباً على السيادة المالكية الحقية وهي إقبال الروح إقبالا كلياً إلى العلوم الشرعية النقلية والعقلية وتغويصها في بحار جواهر مخدرات أسرار كتاب الله الذي هو كتاب أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوته بعد امتثال ما فيه وتفهم

---

[67] (56 و57 و58) سورة الذاريات.

تصريحاته وتلويحاته وأسرار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو كلام نبوي مفسر لكتاب الله ظاهراً وباطناً لأن كتاب الله لا تدرك العقول ما فيه إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو لسان القرآن لأنه متخلق به أي صار له القرآن طبعاً وخلقاً وأشربته عروقه وأجزاؤه وكلياته حتى صار ينظر جميع ما فيه بلا تأمل بل صار كتاب الله عنده ضرورة كالسماء فوقنا مثلا والواحد نصف الإثنين مثلا واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على ما كان وما يكون من جميع ما تعلق بالكون لأنه أصله وأضافه جل علاه على ما تقتضيه حقيقته صلى الله عليه وسلم من كنه الحق جل وعلا ولا حظ له صلى الله عليه وسلم فيما لا تطلبه ذاته فذاته صلى الله عليه وسلم أصل لملك الله ومثاله كمن دخل مدينة وعرفها ودخل القرويين مثلا وكل دار بفاس وكل بقعة وكل آدمي وميز جميع ما احتوت المدينة فبمجرد سماعه فاساً مثلا يشاهد جميع ما احتوت عليه من كل شيء بلا تأمل فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه كلمة حصلت له منها مشاهدة حقائق

مدلولها مرموزاً إليها بالحروف الربانية على ســـبيل الرمز الإلهي فما من حرف منه إلا ودل على مثل فاس مركبة من خزائنها وحسن أهلها وعلوم أهلها وولايتهم وظاهرها وباطنها وهو صلى الله عليه وســـلم محيط قبل نزوله بجميع مدن مقدورات الحق جل جلاله بحيث لا يخفى عليه أمر ملك الله البتة فإذا قرأ آية أو كلمة انطبع بها ظاهراً وباطناً فيفســـر لنا لعامتنا ما نطيقه منه ولخاصتنا ما يطيقون في كل نفس من أنفاسه ولم يضيع نفساً بلا تعليم فإذا ظهر للصـــحابة يبين لهم بظاهره وبباطنه لباطن الوجود وإذا خفي عنهم يعلم بظاهره وبباطنه باطن الوجود أي الذوات الروحانية وعليه فعلوم البواطن أعظم من الظواهر وهو المتوارث وعليه فلم يبين مثلا من المدن إلا أبواباً لا غير وبقيت السواري والسواقي والخزائن والرقم مثلا في خزانة النبي صلى الله عليه وســـلم فلا يســـع تفاصـــيل المكونات مخلوق ســـواه وورث منه صاحب الطريقة حامل لوائها الذي أمره أن يربي بها إلى قيام الســـاعة أمراً عظيما لا يســـعه الكتب والعقل ولا الرمز ولا الدليل ولا جميع العقول الخلقية بل اختصه صلى الله عليه

وســلم به دون غيره ممن ورثه وعليه فهو الوارث الحقيقي وغيره ممن قبله وبعده ممن يدعي مقام العلم المحمدي إنما أصابه رش منه لا من النبي صلى الله عليه وسلم وهو سر وساطته بينه صلى الله عليه وبين سائر الخلق من الأولياء فضلا عن غيرهم وعليه فعلوم القرآن مخزونة في خزانته صلى الله عليه وسلم فما بينه للعامة وصل إلى العلماء عامة بحسب استعدادهم وما بينه للخاصة وصل للخاصة بحسب استعدادهم وما بينه للعارفين خاصة الخاصة وصل إلى جنسهم في علم الله وما لم يفشه بقي في حوصلته مما لا يناسبهم أو أمر بكتمه وهو المفاض على حامل الطريقة الأولى ولذا استغرب ولم يطق فهم مقامه مع إقرار كبار العارفين وتسليمهم له فتحت كل حرف من كتاب ذي الجلال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف علم كل علم يحير أذهان العارفين المقربين وهذا القدر هو الذي وصله صاحب الطريقة إلى قيام الساعة ويقرره في بحبوحة سكره كما يقرر العامي الواحد نصف الإثنين وكما يقرر أحدنا داره بما فيها بمجرد ذكرها بحيث لا يحتاج إلى تأمل في كل نازلة وقعت أو

تقع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . [68] فلا يقال لفضل الله ذا بكم . [69] وإذا كانت العلوم منحاً إلهية فلا يســـتغرب أن يدخر لبعض المتأخرين ما غاب فهمه عن كثير من المتقدمين: ((**خير الأمـة أولهـا وآخرهـا**)) . [70]، ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾ . [71]، ((**الأمة كالمطر لا يدرى أولها خير أم وسطها أم آخرها**)) . [72]. إشــارة ربانية نبوية فالعلماء أهل الأبحاث اللفظية إذا سمعوا مثلاً القرويين يفهمون أنه اسم جامع كبير بفاس وفاس مثلا مدينة كبيرة معدن العلم والولاية والخيرات والصـــلاح فلم يشـاهدوا فاسـا مثلا فضـلا عن الجامع فضـلا عن الاسـتيعاب

---

[68] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (4) سورة الجمعة

[69] **قل للمحاول شأوا في مدائحه * هي المواهب لم أشدد لها زيم**
ولا تقل لي بماذا نلت جيّدها * فما يقال لفضل الله ذا بكم
أبيات من قصيدة البردة للبوصيري رحمه الله تعالى.

[70] الراوي: عروة بن رويم اللخمي | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4078.

[71] (40) سورة الواقعة

[72] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن عبدالبر | المصدر: التمهيد | الصفحة أو الرقم: 253/20

والاستيفاء ومثال القرآن أيضاً من وقعت له واقعة كواقعة **الصيف ضيعت اللبن**[73] فإذا سمعه من عرف أصل التسمية والمثل عرف مضمن القضية بلا تأمل ولا تعلم وإذا سمعه من لا دراية له بأصله يفهم ظاهر اللفظ ولا ذوق له فيتكلف ضم التاء أو فتحها بحسب الصناعة النحوية ويقع التنازع بين العلماء مثلا كل واحد يقرر مذهبه وكل مذهب صحيح باعتبار قواعده ولذا كل قول صحيح فإذا فسره عارف بأصل الوضع تبين فساد فهمهم ووجب عليهم تخطية مذاهبهم والرجوع إلى أن المثل لا يتغير عن أصل وضعه فيذوقون سره وفهمه فكل نازلة تجاذبت فيها أقوال العلماء مثل ما قلناه وهو دليل على عدم ذوقهم جميعا سرها فلا يذوقهم سرها إلا العارف بأصل المخدع وبباطنه فهم

---

[73] يقال إن سيدة تزوجت من رجل غني، ولكن كلما تقدم السن بزوجها كان يزداد شحًا، وكانت تختلف معه كثيرًا لهذا السبب، حتى تطلقا، وكان وقت الطلاق في شهور الشتاء، ومن المعروف أن شهور الشتاء تزدهر فيها المراعي ويكثر فيها الخير، وتدر الماشية الحليب بكثرة. بعد الطلاق تزوجت المرأة من شاب صغير السن وجميل المظهر، ولكنه لم يكن ثريًا، وحين أتى الصيف احتاجت السيدة إلى الحليب، ولم يكن الحليب موجود لدى أحد في مكان إقامتها إلا لدى زوجها السابق، فأرسلت إليه ترجوه من أجل بعض الحليب، فصاح بها قائلًا: في الصيف ضيعت اللبن. **من أمثال العرب.**

يطوفون عن خارج الحجرة والعارف يبين باطن المخدع لكن آراؤهم صحيحة بحسب قواعد مذاهبهم واجتهادهم بقصد نفع العبيد فقواعدهم صحيحة سالمة كلها من الزيغ وإنما أخطئوا في أن المثل لا يتغير مثلا فلما قرر العارف أصله صمموا عليه وطبقوا عليه قواعدهم على الحقيقة وعليه فلا يستنكف أحد إذا وجد أحداً أعلم منه من أن يتجرد من علمه ويتبع علمه الصحيح المطابق للواقع ويطبق عليه قواعد العلماء فإنه لا يخرج عن الضوابط العلمية فافهم فإنه نفيس ولا تجده مكتوباً مما علمناه وعليه فهذا الكتاب الغريب الجامع المانع لأنه مركب بأيدي القدم إنما يدل على تمييز الذاتين فعند الصلاة يجب عليه نظرا أن يجمع بينهما فيها فالترابية للألفاظ والخشوع والروحانية للحضور والتأمل والتذلل والتفاني والاستغراق والأدب فعلامة قبول العمل الأدب فيه والأدب الحضور فيه من وظائف الباطن وعلامة قبول العبد الأدب والأدب تجرده مما سواه من عمله ومن غيره ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن**

فَضْلِ اللَّهِ﴾ .[74] أي فلتفترق الترابية والروحانية فتتوجه الترابية للأسباب العادية الترابية المناسبة لها والروحانية للأسباب العادية المناسبة لها من كتأمل والتفكر والتعقل والتحلم والتمهر والتغلغل في بحار الحقائق الربانية مع اعتقادها أن لا تأثير لكل سبب بل إنما أمرنا الله بها فامتثلنا لا غير ولا حظ لنا فيها إلا مراعاة الأمر الإلهي فإذا تفرقا للأسباب فلتعلم أن الترابية أمانة عند الروحانية مركبة من ستة وثلاثين جزءاً مثلا فترك جزءاً للترابية ليتميز به كيفية الأسباب لأن التمييز من وظائف الباطن لا الظاهر فاعلم فمن ترك منهما سببه عصى أمر مولاه ومن اتكل كفر فإذا وجه الذاتين لأسبابهما بحيث لا تشوش الروح الباطنية على الترابية ولا العكس حصلت على كنز الامتثال لكتاب الله ثم المخاطب حقيقة الباطنية والترابية تبعاً لها في التكليف فإذا ثبتت الباطنية التي هي العقل في العرف وجب التكليف الشرعي بطاقة الترابية من قيام مثلا وركوع وسجود

---

[74] (10) سورة الجمعة.

وجلوس واضطجاع على أيمن ثم أيســــر ثم ظهر ثم بطن إيماء والمقصـــود امتثال الباطن والظاهر بطاقته وإذا عدم العقل فقد التكليف وإن صـــح الظاهر فوظائف الظاهر امتثال الأوامر والتعرض للأرزاق بالأســـباب الحلالية التي أذن فيها الله ولا يأذن الله إلا فيما فيه مصـلحتك وعدم إذايتك لنفســك ولغيرك وهذه الحكمة مقررة في ســياســة كتاب الله لتعيش في الدنيا والآخرة منعماً فإن آذيت نفســـك وغيرك يربك الله بما ذكره الله في كتابه ثم إن الأسـباب الحسـنة هي التي كانت في الطريقة الأولى في عهد رســول الله صــلى الله عليه وســلم من فلاحة وتجارة بشـــروطها وحرفة بشـــروطها وما أحدث بعدهم من التعرض للأرزاق باســـتخدام الأســـماء في عرفهم والروحانيين بإهلاكهم وقتل ملوكهم بإحراقهم بأنوار الأســماء الجلالية على كيفية معلومة عندهم وكأخذ الأجرة على تناول مثل الكتف فينظر فيها فيريه الشـيطان صوراً شـيطانية تدل على المغيبات من موت أمير وغيره كالخط لرجم الغيب من نحو الزناتي وكرجم الغيب بالرمل وعلم النجوم عندهم وكرجم الغيب بمثل

قرعة الأنبياء عندهم وقرعة الطيور وكاستعمال أسماء البركة وكتغيير سكة الأمير كحَرق مثل نحاس حتى يصير مثل فضة فيعيش بها فضة وكالتثقيف للجنين والولادة وإفساده ورميه وكالتفريق بين الأحبة وكالجمع بين الزناة وكالضمائر والخط وكل ما لم تأذن فيه حقيقة الشريعة فكل ذلك ضلال مبين لا شك في ضلال صاحبه لتلبسه بمثل الكفر وذلك كله عمل الكفر بل فعل الأغمار من العاجزين القاصرين الأفهام. فالحلال بيّن والحرام بيّن والمتشابه بينهما يجتنبه من حفظه الله بالورع ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فإذا دار له الفلك بغلة سببه فليأكل [75] بكيفية الشارع صلى الله عليه وسلم وليسبق [76] بنفسه ثم بعياله ثم بأقاربه ثم بالإفاضة على جيرانه ((**ابدأ بمن تعول**)) [77] ابدأ بنفسك ثم بمن تعول في جميع

---

[75] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فالياكل".

[76] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فاليسبق".

[77] الراوي: أبو هريرة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 1253

الأمور حتى في الدعاء وعليك بالاقتصاد في المعيشة بحيث لا تبذر نعم الله في معاصيه ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [78] قسم من الله بنفسه أن من شكر نعمه ليزيد له نعماً على نعم وشكر النعمة إنفاقها في طاعة الله وملاحظة سراية سيادة المنعم فيها حال التلبس بها ثم إنك لا تخلو عنها نفساً لأنك نعمة بنفسك وأعظم النعم الحقيقية نعمة الإيجاد والإمداد ونعمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الشيخ المربي ثم المعلم ثم الأب ثم الأم ثم الوسائط بينك وبين النعم كالبائع لك مثلا والمزوج لك والواهب والصانع والتاجر وكل من باشر نعمك حتى وصلتك كالملائكة فاعلم أن الملائكة يتصرف منهم في حبة واحدة من الحب أياً كان ثلاثمائة وثلاث عشر ملكاً فإنك تأكل عدداً من الحبوب في كل يوم ولا بد منه وأنت تدعي الزهد من الدنيا وأنت فيها وفوقها وتميل إليها وإنما الزهد تعلق القلب بالله تعليقاً كلياً مع تعظيم نعمه الواصلة لك بالترحاب والتشريف باعتقاد أنها مهداة

---

[78] (7) سورة إبراهيم.

لك من السـيد جل جلاله وأنت عبد يهدي لك سـيدك ما أعظمها نعمة والشـكر الحقيقي امتلاءُ القلب بما عند الله لا بما عنـدك من الخزائن لكنه على هذا من وظائف الباطن ونحن في وظائف الظاهر والشـكر عليه صـرف نعم الله ظاهرة وباطنة فيمـا أمرت بـه من الطـاعـة وطي الآيـة وعزتي وجلالي لئن لم تشكروا نعمي لأنزعنّ منكم نعمي ولأحرمنّكم من المزيد فالصلاة منـا شـكر جميع نعم الله المتعلقة ببدنه وقس عليه ولنحو هذا يـدل كتـاب الله فيما يتعلق بالظاهر وفيما يتعلق بالذات الترابية ظهرت الملوك والقضـاة وأهـل الخطط الـدينيـة وظهرت المجتهـدون ودونـت الكتـب الغير المحصـورة من أحكـام المعاملات بين العباد وهو سر اسمه جل علاه الظاهر فمضـى كل زمان من زمان الهجرة 1339 فلم توضح علماءُ كل زمان من وظـائف الـذات الترابيـة إلا النزر القليـل فـافهم ويجـب على الإنسان الكامل اللبيب لأن الخطاب مع أولي الألباب في كتاب الله أن يوجه ذاته الروحانية الباطنية إلى أسباب معاشها العادية باعتقاد أن السـبب لا تأثير له إنما هو علامة الله لا غير بحيث

يتجرد من كل ســـبب بقلبه ويجرد نتيجته من قلبه متوكلا على ما عند سيده لأنه ملك له وسببه كذلك وعلامة التوكل أن يزن الإنســـان نفســـه فإن وجد نفســـه واثقة بما عنده من الأموال والأملاك فليعلم[79] أنه عابد لهواه وإن وجد نفســـه واثقة بما عند سـيده مع قطع النظر عما بيده بحيث لا ينسـبه لنفسه بل لســـيده وقلبه مفرغ من هموم المعاش لأن عبد الغنيّ لا يهتم عادة العقلاء بأمر الرزق والعبد غني بسيده لا تصح فيه الصدقة ولذا يحرم العارف والشـريف الصدقة على نفسه باعتبار أنها من الخلق وأما إن رأياها من الحق فهدية حلال وجب قبولها وتناولها ولا يحل له أن يعطيها للغير إلا بإذن ســـيده ولا أن يزهد فيها قطعاً ((**لا غنى لي عن بركتك يا رب**))[80] فهو متوكل ولذا أمســـك البعض من الأولياء عن الإعطاء إعطاء

---

[79] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فاليعلم".

[80] قال ﷺ: ((**بينَما أيوبُ يغتَسِلُ عُريانًا، خرَّ عليه رِجْلٌ جرادٍ من ذهبٍ، فجعَل يَحثي في ثوبِه، فناداه ربُّه: يا أيوبُ، ألَم أكُنْ أُغنيك عمَّا ترى، قال: بلى يا ربِّ، ولكن لا غنى لي عن بركتِك**)).

الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3391.

المال والجاه والأسرار منعه تعظيم النعمة عنده لأنه خص بها في حضـــرة الحق بعدم الإذن في المعاملة بها فإن أذن عامل بنفسه وروحـه ومـالـه وخزاناته فافهم على أن ما ذكرناه هنا من وظائف الظاهر ويصح أن يكون من وظائف الباطن باعتبار الرزق فهو على قسمين حسـي للحسـي للترابية ومعنوي كالعلوم للروحانية فلا تســـمى الروح متوكلة حتى تتجرد من هم رزقها وهو العلم والمعرفة فالذي يجب توجيه الروح للأســباب من تأمل وتفكر فـإنه عين طريق المعرفـة بالله ولا عليه في غلة الأســـباب لأن الاهتمام بغلة الأسباب من علامة القطع عن المولى فتسبب ولا عليـك في الغلـة فتعلّم ولا عليـك في العلم وتعرّف ولا عليك في المعرفـة وتفقّه ولا عليك في الفقه وتربّح ولا عليك في الربح فإن الغلة من وظائف السيادة واشتغل بوظائفك التي هي الأسباب واترك منـازعة ســـيدك في إرادته وهي المكنى عنها بالوظائف الحقية فإنه سبق في علمه أن كل من عمل عملا متقناً يدور له الفلك بســـهمه وإن لم يعمل أو عمل غير متقن فلا حظّ له في الفلك وصمم على ما عند سيدك في الأسباب كلها فإن الاتّكال

على الأسـباب كفر أي جحود حيث نسـب الرزق الإلهي لغيره من الأسـباب وهو عدم شكر النعم المعرض لزوالها فإذا وجهت ذاتـك الباطنية الروح إلى أســـبابها معولا على الله لا عليها بل اسـتندت إلى القسم الإلهي الأزلي معرضاً عن المعرفة وعن العلم وعن كل نتيجة الأســـباب ناويا حين التلبس بها امتثال الأوامر الإلهية لا غير وهو قوله جل علاه ﴿**فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾. [81] بالأسـباب التي جعلها عادة على توصـيل أرزاق عبيده تغميضا لأعينهم عن رؤية سر القدر الإلهي وترتيباً لملكه أنه جل جلاله متوقف على الأســـباب فالأســـباب في الحقيقـة مثالها مثال ملك عظيم الخزائن والجنود أمر جنوده بأن من أراد رزقه فليمش إلى موضع مهيء للقسم فمن مشـــى له امتثل ويلاقى برزقه على يدي وســـائطه ومن اســـتنكف عن المشي أو عجز كسلا يأتيه رزقه على يدي وسائطه في حضـرة الملك وهو عاص مخالف ومتهاون ومتعب وسائطه في حضـــرة

---

[81] (10) سورة الجمعة.

المالك بالحمل وعتاب الملك الوسائط على عدم حضور موسوطهم ويقول لهم أنتم غير معتنين بأمر الرعية ولا بأمر الملك واعلم أن المكلف بمئونة بعض الرعية تدفع مئونة السيد على يده يحضر لدى الملك دائماً عند التفريق للأرزاق فيكلفه بسرد رعيته جبراً منه فإن تغيب واحد أو غاب أو أسقط يقل له الملك أين فلان المقيد في كناشك وكناشنا وتدفع له في كل صباح مئونته فإن كان لعذر شرعي يجاوبه بأنه غاب عن مصلحة الجنود مثلا ووجهه أحمر بين يدي سيده وإن كان بلا عذر بل بتفريط يسكت ووجهه أصفر من شدة الحياء والخوف من التعذيب أو العزل من سيده ومنه يدخل الضرر على تارك الأسباب وهو تارك الحضور مثلا ويتضرر المكلف به غاية لمقام الأدب فيقول له المالك أنت مقصر ومفرط في خدمتنا فكأنك لم ترد خدمتنا وأهملت حق الخدمة فلو خدمت بنية ظاهراً وباطناً لاشتغلت بأمر التنظيم والتأديب فلا يتخلف عن أمرنا أحد لكن لما ظهر لك غير أمرنا فرطت في الرعية والتقصير في أمر الرعية ليس بهين عندنا وأنب إلينا نتب عنك

إما أنك مقصــر أو غافل عن السياسة أو جاهل أمرها فكلها لا يصلح لنا ولا نصلح له فافهم وبه تعلم أن النبي صلى الله عليه وســلم وخلفاءه لا يحبون من ترك الأســباب العادية مما يتعلق بالظاهر والباطن ولا من عول عليها لأنه شــرك صــراح حيث اعتمد على غير الله وهو هلاك الأســـباب فتجد العارف إذا اشتكيت إليه أمر الرزق يأمرك بالأسباب وكان صلى الله عليه وســلم يأمر الأغنياء بالإبل والبقر مثلا والخيل ويأمر الضــعفاء بالدجاج مثلا وحرف يقدرون عليها ولا يترك أحداً يجلس بلا تسبب فهذا هو الشــيخ الكامل بحوزة حياطة التربية فإذا ترك ظاهرك الأسباب فقد عصـــى ظاهرك وتمجه الطباع الظواهر بحيث لا يحبه كل من كان ملتبساً بالأسباب وتكرهه الوسائط الروحانية الملكية ويكرهه الملك ورزقه المكنش في كتاب الملك من كتاب الوســائط يأتيه وإتيان الرزق بلا ســبب هو المهلك لكثير من الجاهلين فزين لهم شــيطانهم ترك الأســباب

بمجيء الأرزاق [82] بلا سـبب مكراً منه لأن يعرضـه لشـبكة المقت من الله وأوليائه فلتفق من سـكر غفلتك وكذلك زين للغافلين التعرض للأرزاق بلا سبب مصوراً له الحقائق المجردة من الشـرائع فيبقى في مهواة العطب لأن الحقيقة بلا شريعة في حيز المحال بحسـبنا وأما باعتبار الحق فهو مطلق غير مقيد بجائز ولا بواجب ولا بمحال فالمقيد بها أنت لا هو جل وعلا فالله لا يتقيد بقيد تعرفه قيداً ولا بإطلاق تعرفه إطلاقاً بإطلاقيته جل وعلا رمزاً لما عنده ولا يعرفه إلا هو وكذا كل لفظ يشـير له إنما هو رمز يشـار له بالألسـنة وكل معنى في قالب الألفاظ فإنما هو رمز لا غير وكل ما تدركه الذات الترابية والباطنية من كل خلق سوى الخليفة [83] الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو رمز حادث لحضرة السيادة لا غير وعليه فحضـرة الحق مطلقة فلا يمكن تغيرها وحضرة الخلق مقيدة دائماً بقيود الله وكل ما برز من حضـرة المطلق مطلق

---

[82] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الأرزق".

[83] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الخلفية".

فلا يقيده مخلوق بأفهامه وخياله فما سـوى الله خيال فالخطاب منـه إذا توجـه عامّاً يبقى على عمومه ولو قيده المجتهدون فليس من طوقهم بل يطلق لحضـــــــرة المخاطبين من العارفين ومن الســـالكين المريدين أو من الغافلين عن المعرفة والإرادة فيوجه خطاب الشـارع إلى كل موقف من مواقف المسلمين والمومنين والمحســنين فيقيد بصـنف دون صـنف منهم فالخطاب مطلق في بابـه والمقيد هو المخاطب لا غير فيخفى على الأكابر الأجلة الأعلام لزوم .[84] تطبيق كل خطاب على كل الأصناف فيتحير المجتهد وتضـــطرب أقواله فيكون تطبيق إمام واحد منهم عدد من الأقوال في نازلـة واحدة لملاحظة أنوار الخطاب الإلهي من وراء الحجاب تارة ويأخذ بمقتضـــى ما شاهده بقوة بصيرته فإذا تلون لـه النور بجهـة أخرى يترك مـذهبه ويأخذ بمذهبه أيضـــاً بســـبب التلوين ولـه في الخطاب الإلهي مقام باعتناء تبيين ما ظهر له من ألوان الأنوار الخطابية وهو مصــيب في قوله القديم

[84] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "لروم".

والحادث مثلا ويجوز العمل بجميع ما أدّاه له اجتهاده ولا يقلد وجوباً غيره بل يأخذ بمقتضى تلوين الخطاب الإلهي وهو سبب الاختلاف ومقصودهم خدمة الشريعة ولذا لا يستنكفون من الرجوع بعد الحكم والتصميم عليه لأنهم ما ولاهم الله وأخذهم في أدوار خطابه إلا ليكرمهم ويكرم بهم عبيده وعليه فللمجتهدين مقامات الولاية والتصريف والتربية لكن العارف إذا توجه للخطاب الشرعي عرف أن الخطاب من حيث هو قديم مطلق بإطلاقه جل وعلا ويفهمه مطلقاً في صنفه الذي نزل الخطاب له وهكذا في كل خطاب لأن كل خطاب موجه إلى جنس من الخلق يعرفه من شربه ويجهله من غفل عنه ولا يتكلف التطبيق على سائر الأجناس لأنه لم ينزل لذلك وإن كان خطاب الله من حيث هو مقصود المعنى واحداً وهو الدلالة على الله لكنه يصرف إليه كل جنس في غابته ما يناسب غابته من الصواعق والإرهاب والإحباب والإحراق والوعد والوعيد وتكون الصواعق مصحوبة بسياسة صاحب الشريعة من الرمي في الغيضة جملة أو على واحد معين أو على طائفة من الأرانب

مثلا مما يزعجها ويردها بعد توحشـــها إلى حضـــرة ســـياســـة صـــاحب الغابة والأرانب يناســـبها من الخطاب ما يشـــوقها ويزعجها لا غير والأسد مثلا يناسبه .[85] الصواعق العظام لعظم أمره فلا يتربى ولا يألف إلا بعد مشـقة صـاحب الشـريعة لقوته وتقذيفه بنفســـه من غير مبالاة على المتحيل لتأليفه حتى يصـــير متأنساً به أن يبالغ في السياسة لأنه لا تأخذه الأحبال ولا يقنص غالباً إلا بأكبر الحيل مع الصبر على حرارة شهامته والتيقظ التام في أمره فيرى من كلفه الأمير به أمراً عظيماً في شأنه ولا يدخل في شـــبكة الاقتناص إلا بالســـياســـة والإتعاب والإحاطة به من كل وجه فلا ينفع فيه خطاب واحد بل يوسّع الأمير الدائرة لمن كلفه في أمر الســـــياســـــة والاجتهاد ويجتهد لنفســـــه بخَيله ورَجله .[86] حتى يأخذه فإذا أخذه منعه من الخروج في حيطته

[85] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يناسه".

[86] ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال

السياسية ولا تنفع فيه كل حيلة من خوف أولا ثم قرب ثم بعد ثم قرب كذلك ثم تمنية ثم تمســـح ثم تعظيم ثم تأكيل ثم تقييد بالكلية ثم رياضــة ثم فراســة ثم انتفاع به ونفع بكاصـطياد مثلا فالذي يناسبه من أمر الله العزائم والتضيق به والتشديد والذي يناســب الأرنب مثلا ومن دونه أو ماثله الرخص بحيث تضــره العزائم والتشــديد والأســد مثلا ومن ماثله في غابته ومن فوقه من الجســارة تضــــــره الرخص وتهلكه ولا تملكه بأنواع حيلها لشدة بأسه ((**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**)). [87] فالرخص عبادة الضــعفاء من الناس وربما ينفرهم بالعزائم الغير المستدامة والقدر المضــر منها الاستمــرار عليها فمثل الملك بحسب ما ينفعنا وندركه ولله المثل الأعلى حضرة الحق جل وعلا ومثال المكلف بالغياهب الصــيدية المصــطفى

إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

[87] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 82/8.

صلى الله عليه وسلم وقد صلى عليه في أزله صلاة قديمة مستمرة الدوام ومثال الغابة المخالفات والنفور من حضرة الحق ومثال الأرنب الضعفاء الذين نفروا ولا ضرر فيهم وقس عليه من دونها وما فوقها فإن لكل مقام مقالا يخصه ومثال السبع المريدون الوصول لحضرة الحق أو لحضرة الدنيا أو لحضرة الجنة فإن المريد يتحيل على إرادته ويقاتل عليها بكليته يقظة ومناماً في سائر عمره ولا يقبل التوبة لأنه يعدّ نفسه من المجتهدين في طاعة الله وربما يجتهد فلم يظهر له أثر مقصوده من الإرادة لعظم حجاب الإرادة فينفتل في الطريق ويحل يده من العقدة فتنسل مع الشريعة لورائه أو يسقط بالمرة فتتكسر أركانه وأجزاؤه ولا يرجى برءه طول المسافة أو قربها وتوسطها فمن انسل قابضاً على الشريعة لورائه يبقى صائن الأركان غالباً لكنه فاته المقصود والساقط في أول الطريق تدعدع أركانه بلا تفريق ولا تكسير وفي وسطها ينشق وتنفك أجزاؤه بلا تكسير ويرجى برءه وعوده ثانياً مثلا وفي آخر الطريق تنكسر أجزاؤه وتنفل بسيوف قواه بحيث لا يعود في الغالب لشدة ما رأى

فالمريد مثال الذيب في ظاهر المعاني لا صـوف ولا حليب ولا لحم ولا جلد إلا عند من يرى حليته بلا كراهة من مذهب جنسه فهو عنده ترياق لأمراض الكلى والحمى والكبد مثلا ولكل مقام مقال والمجرد وهو العامي أو العارف مثال النعجة كلها خير عند سائر الأجناس والملل فكلها خير لأن العامي المعترف بالتقصير والذل والضعف المسرف على نفسه بهواه مع عدم الرضى على النفس خير من مريد مجتهد فمقامه قريب من العارف والأخوة بينهما في التجريد وعدم القصد وإنما الفرق بينهما أن العارف مشاهد ممتثل والعامي ضده لا غير لكن حجابه رقيق ولذلك قرب معناه للحضرة الإلهية فإن تعبد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بلا مرب تظهر له روائح القرب بأقرب مدة مع عدم نية ذلك ولم يعبد الله بأعظم من العبودة على وجه الإحسان ثم على وجه العامية ولا يبعد عن حضرة الحق مثل الإرادة لأنها حظ عظيم أمره ومنهم ﴿**مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ**

انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ . [88] والخير الذي يصيبه فضل الله وإدراكه بالتجريد في وسط الإرادة والفتنة التي تصيبه تحصيله على غرضه الذي تعرض له فإنه لا يرجى برؤه لاستحلائه ذلك بوصوله بعبادته وهو عمله المتقن لكن لغرض نفسه لا لعبادة ربه فهو يعبد به وإن كان الحق قريباً من كل أحد فالعبد هذا إنما يرى ظله فقط ولا يرى نور ربه فيه. فمثال أهل الطريقة الأولى مع الثانية كمثل شخص في وسط بيت مبني بنحاس بلا باب ثم بحديد ثم برصاص ثم بأدوار الأبنية إلى أن تصل إلى الزجاج ثم البلور ثم ما هو أرق منه حتى تصل مثل الهباء المجموع فأما أهل الطريقة الثانية فإنهم لم يرضوا بذلك السجن وقنطوا بما دهمهم من الظلام ولم يصل إليهم نور الشمس مثلاً وطلبوا السراح والانفكاك من قفصهم الذي لا باب له ولا منفذ وقد دار به مائة ألف حائط من مختلف الماهية وكل دائر غلظه سبعون عاماً بحسب المسافة الغليظة

---

[88] (11) سورة الحج.

والبيت مبني في وسـط الشـمس وحرارة الشـمس تصـله على وجه لا يدريه فأما أهل الطريقة الثانية فإنهم لم يرضـوا بقدر الله لضـيق وظلام ما هم عليه فاسـتغاثوا بمن يغيثهم بهدم الحوائط السورية فبين لهم المربي الذي احترموا به آلة قوية أنصالها للهدم بقوة واجتهـاد وذكر قوي لإزالـة السـور الأول النحـاس مثلاً فـاشـتغـل في معظم عمره بالإزالة فإذا هدمه يبين له مربيه آلة أخرى من الأذكار مثلا وسلوك آخر ويحرضه على الاجتهاد وأنه إن ملّ لا يحصل على شيء وهكذا حتى يقطع الحجب الغليظة النفسـية فإذا وصـل إلى الرقيقة تبين له لوائح الأنوار من وراء الحجب العلمية فإذا شـم روائح القرب وشـم ما كان عليه أولاً في وسـط السـلوك يشـم منه رائحة كريهة فيسـتقذره ويهرب من نفسه ومن حاله ومن عمله فينقبض انقباضاً كلياً ويرجع إلى مربيه ويسـأله عن الرائحة الكريهة وعن الطيبة فيقررهما له أتم تقرير فيسـتقذر ما كان عليه من سـلوك ويحصـل له الإعياء الفادح فيمسـك عن العمل بتبيين خلاف قصـده فإذا رآه مربيه قنع من الإرادة ومن السـلوك ومن عمله ومن نفسه يقول الآن قد علمت

أن الله قد أراد بك السـعادة الأبدية حيث تركت جميع العلائق ورجعت إلى ربك ثم عليه اعلم أن ما كنت عليه من إزالة الأسوار ليس عبادة وإنما هو غرض من الأغراض ولا غرض مع الله ثم يجب عليك أن تتجرد مما سوى الله بحيث ترضى بقدره وتتجرد من المراتب العلمية والعملية والعرفانية وتعول على قسمة ربك بحيث تعلم أنه يستحيل أن يزيدك أو ينقصك عما كتبه بيده في كتابه أم الكتاب أي أصل الكنانيش التقديرية التصريفية الولائية فإذا وفقه الله للتجريد على حسب نصيحة المربي الحاضن الكافل له لأنه في حجره انقشعت عنه كل حجاب قهراً بلا تعمّل في الباقي له فيصبح في الشمس الضاحية فيتمتع بأنوارها ويعطى له السراح والتسريح يذهب حيث أحب ويرشد ترشيداً من ثقاف الحجر فإذا علمته علمت أنه سافر أولاً وخدم وعبد واجتهد لحظ نفسه يخرج من ظلام الحجاب وهو غير عبادة وإنما قام بنفسه لنفسه وليس من اجتهاده وعلمه رائحة أدب لأنك رأيته لم تنخرق له الحجب حتى عيي وألقى السلاح وأدركته بركة مربيه وعلمه كيفية التعبد فلما تعبّد من

غير غرض أدركته عناية الله بلا ســـبب ولا تعمّل فهجمه الفتح الرباني فهذا كبير الطريقة الثانية ما نفعه اجتهاده لكن بركة تعظيم أمر مربيه خلصـــته من المهالك الحظية هذا فمنهم من يجتهد بخرق الحجاب الأول فتبين له بريق الحجاب الثاني واتسـع عليه الأمر فاســتحلاه وبقي فيه وهو مســجون بالحجاب ويعتقد أنه وصـل الزيادة في حاله فيزين له الشـيطان مقامه ويهويه على أم دمـاغه ومنهم من بقي مع الثـاني إلى آخر الحجـب فكلما بقي مع حجاب يظهر لـه خلاف ما قبله من الحســـن فيهلكه بزخاريفه فيجد إبليس فيه مقصـــوده ويســـتعظم أمره حتى يهلكه وكفاه هلاكاً البقاء مع غير ربه ثم إنه ربما يزيده عدوه ألا يقبل نصـيحة ناصح ولو من مربيه وهو عين الهلاك فإذا قال المنصوح لناصحه انصح نفسك مثلا ومثلك ينصحني أو لمثلي يقال هذا وأنا عالم عابد مثلا فاقطع بأنه سـقط من عين الله وإن مات قبل التجريد مات على غير إحسان فأنت تراه لم ينهض أولا لله ولا بالله ولا في الله ولا على اللـه وإنما حركه غرض نفســـه لا غير فالمربي مقصـــوده الإرشـــاد بالتدريج لغلظ حجبه وهو إن كان كاملا

محمدي حقيقي بحسب الإخلاص والإحسان وأما أهل الأولى لما علموا بالسجن استشاروا أول مرة مع رجل محمدي في أمرهم فأرشدهم أولا للتجريد مما سوى الله والرضى بقدر الله وبين لهم أن لكل شيء قدراً وأجلا في علم الله ويثبتهم على حب الحجاب الإلهي ويزينها لهم لأنها مراد الله وكل ما أراد الله محبوب يبصرهم أول مرة وسألوه عن أهل الثانية فاستقذر لهم ما هم عليه للاجتهاد للحظوظ النفسية وبين لهم ما فيها من الدسائس النفسية لأن الشيطان إنما يتقوى بالنفس فيثبتهم على مراد الله فيهم وأمرهم بإخراج الدنيا والآخرة والبرزخ وكل مرتبة ولائية في قلوبهم فاستحكموه على أنفسهم لظهور نور كلامه لكل عاقل وحكموه على أنفسهم وشرط أن لا يلتفتوا [89] عن حضرته ولا يخطر خاطر فيهم إلا ويفشونه له فجعلهم في حياطته وتحت جناحه وطار بهم لمدينة الإخلاص واستقذره لهم فكل ما شاهدوه من المدن الولائية نفرهم عنه فبقوا في

---

[89] وردت في الطبعة الولى بدرب غلف بصيغة "يلتفوا عن".

وســـط القبض فلما رضـــوا وقوي نورهم بالإخلاص انهدمت الحجب في نفس واحد واحترقت بنور إيمانهم الكامل فظهرت لهم ضاحية الشمس فاشتغلوا بأنوارها وجمالها وهي عالية قاهرة لعين كل أحد بحيث لا يقدر أحد أن يحقق بصـــره فيها أبداً لســـطوة حرارتها وقهر حســـنها فلما عاينوا ما عاينوا رجعوا إلى شـيخهم ويختبرونه أمر الحال الوقتي فدلهم على ملازمة العبودية وببركتها كان ما كان من غير تعريج على شيء زائد عن العبودية لحضـــــرة الســـيادة فعبدوا الله حق عبادته بتعلقهم بالربوبية فتمكنوا ثم إنهم وصلوا كلهم لحضـرة الشـمس بلا سـبب وعليه فكلهم كاملون بحيث لم يبق فيهم من تخلف مع المقامات ولا من رضي بأمر نفسـه ولم يهلك فيهم أحد فأيس الشـيطان منهم في أول أمرهم وبعد نهايتهم لأنهم عمريون فإنه لا يجد نجاســـته معهم من الحظوظ فسـعدت الطائفة كلها أولها ووسـطها ونهايتها بحيث لو اجتمعت عبادة أهل الثانية قبل التجريد ما وزنت قدر ذرة واحدة من نفس واحد من أهل الأولى لأنهم قاموا بالله لله في الله مع الله فنورهم قهر ظلام الشـــياطين والمراتـب

فتخلصوا لسيدهم فهم المخلصون ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [90]. مخصوصون بالعناية هذا فمثل الشمس حضرة الحق وله المثل الأعلى فكلامنا وأمثالنا وعلمنا وأفهامنا ودليلنا حادث محض لا شك فيه وإنما رمزنا فيه للعقلاء لا غير فيكفي أولي الألباب ومىء بحاجب ومثل الحجب المائة ألفاً مثال حظوظ النفس التي لا تحب إلا أن تلبس رداء سيدها ومثال آلة الهدم أذكار مخصوصة لإزالة الحجب في كتب القوم كشمس المعارف وغيره وبه تعلم فضل الطريقة المحمدية فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع ولم يخلق الله طبيباً أعلم ولا أحذق ولا أحن ولا أعرف ولا أنفع ولا أعظم سياسة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فهمه المحمديون بالأصالة وخفي عن المحمديين بعد السلوك فالمحمديون بالأصالة لم يصدر منهم اجتهاد لقطع الحجب فإنهم يربون بسر أصلهم لأنهم استقذروا أن يدلوا على غير الله ولو على وجه السياسة لأن ما

---

[90] (40) سورة الواقعة.

لم يرضـوه لأنفسـهم لا يرضـونه لغيرهم نفسـاً واحداً فضـلا عن السـلوك في مدة فلعله يهلك في الطريق فيموت على غير طلب الله فيعدون ذلك من أكبر الخيانة وإنما المحمديون بعد السلوك ظهر لهم أن لا تصـل الناس ولا ترجع إلا بمثل ما سـلكوا له فدلوا على مثل سـلوكهم فنتج البعض وهلك الجل والعهدة عليهم لكنهم مجتهدون فلا إثم بل المجتهد إن أصـاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد .[91] فلما تبدل الزمان وكثرت المدعون لطريق القوم فطريق القوم هي ما كان عليه أهل الثانية وأما الأولى فلا يقال لها عرفاً طريق القوم أدبًا مع صاحبها صلى الله عليه وسلم فإنه الآن صلى الله عليه وسلم اجتهد أتم اجتهاد في تحرير هذه الطريقة المحمدية فظهرت أنواره وتجلياته في قلوب أهلها واستغنوا بطلعته صلى الله عليه وسلم عن كل حسن ولذيذ وعن كل مقام وحال فلم يكن فيهم أحد إلا ويربيه بنوره وربما يكشف له النقاب ويزيله معاينة اندرست مراسمها حتى

---

[91] الراوي: أبو هريرة | المحدث: النسائي | المصدر: صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم 10431.

رجعت أهل الثانية إلى الأولى لصــفاء مشــربها لأنه نبوي لهذا وعليه فيجب عليك أن ترضى بحكم ربك وهو إتقان الوجهة فإذا أتقنت رحمك الله بلذيذ جماله بلا قصد منك ثم أهل الأولى لم يتقدم لهم سفر ولا إرادة لأن الله هو الظاهر في ظواهرهم وفي ظواهر الأزمان والأمكنة وهو الباطن في باطنهم وفي باطن كل زمان ومكان فالســفر عليه إلى أين وإنما نظروا بنور إيمانهم فشاهد ظاهرهم من المحسوسات فعل الله فيهم ولا يتبركون إلا به ولا يأكلون أو يشــربون أو يناكحون إلا محاســن نور فعله فكمل ظاهرهم بالله وشــاهد باطنهم ســر البواطن الإلهية بلا قصــد ولا ســفر ولا اجتهاد لله وإن كانوا هم المجتهدين في مرضــاة ربهم ولم يبلغ أهل الثانية بجميع ما عندهم من القوة والعبادة قبل التجريد اجتهاد سويعة واحدة من أهل الأولى لأنهم اجتهدوا بربهم لربهم وما كان لله لا يزنه ما كان بالنفس فافهم وعليك بما ســنه صــاحب الوحي صــلى الله عليه وســلم من الإحسان ثم اعلم أن الإسلام والإيمان والإحسان حقيقة واحدة عند أهل الأولى فيكفيه فهمه إن أســلم وانقاد بظاهره فقط فهو

منافق وإن أســـلم وأذعن لقبول الأحكام فهو الإيمان في الثانية وإن أســلم وأذعن واطمأن ونشــط وفني بشــكر حلاوته فهو إحسـان في الثانية وإن صدق بقلبه بوجود الله فهو مومن مسلم في الثانية وإن آمن واطمأن بجمال ســيده لذوق المعاينة فهو مسـلم مومن محســن في الثانية على مقتضـــى عرفهم وعليه فحقائقها حقيقة واحدة عند العارفين لأن الدين دين واحد والملة ملـة واحـدة وإنمـا يكون الميز بنيـات الرجـال لا غير والتفـاوت ليس بالدين لأنه واحد وإنما يكون بحسـب ذوق السـرائر ومثل أهـل الثـانيـة التي أحدثت للســلوك مثل من زاد في مطمورة مظلمـة ضـــيقة قبيحة الحال فإنه يجب عليه بحســـب الذوق الإيماني أن يســتغيث بمن يغيثه في الضـيق لأن الله جل علاه نصـــب أوليـاءه مثـل العبيـد حجـاب الملـك قـاهر الحســـن والإحســـان وعظم مناصـبهم بإدخال الواردين القادمين لحضـرة الملك فتكون الحظوة بحســب قدر القادمين به الواصـلين لأن الملك يحب أن يصل كل أحد من مملكته وإنما احتجب بعظمة ملكه ليلا يمتهن جانبه فنصـب من يرشـد له ومن يقطع الطرق

بفضله اختباراً لأهل دولته فلما استغاث بعض من بالمطمورة من يغيثني من هذا الضيق بنداءٍ صريح مظهر قلق صدره بما نابه تسارعت إليه عبيد الحضرة فأنزل إليه من سبق له حبلا متيناً يستدركه به بعد أن شرط شروطاً بعدم التراخي في الطريق وعدم الرجوع يقول فإن أحببت الطلوع إلينا ولابد من الصبر على حرارة الحبل وحرارة فراق إخوتك فإن تراخيت بحيث لم تمكن يدك من الحبل على كيفية المتطلعين من المهواة فإنك تهلك نفسك فإذا قام بنهضة وترك الراحة وألفة إخوته في المطمورة انجذب بمغناطيس الواقف عليه مع بركة الحبل مع تمكنه من الحبل تمكناً لا يقبل الفشل ثم إن المتمسكين بالحبل على قسمين منهم من تمسك بالحبل تمسكاً قوياً فلما رآه مقابله اجتهد في أمر الطلوع ولو الموت دونه جذبه هو بقوته على سبيل الجذب والخطف بلا مشقة لقوة اجتهاده فلم يشعر حتى أوقفه شيخه على بسيطة البراح فلم يحس بمشقة السفر إلا ما حصل له من الدوخة بقوة شدة الجذب فيبقى زمناً مغمي عليه ثم يفيق وهو في حضرة الشمس ويقول له ها أنت ومرادك

بلا حركة منك بل ببركتنا وبركة حسن ابتدائك لأن حسن الابتداء يدل على حسن الانتهاء ومنهم من يقبض على الحبل بالفشل تارة يقبضه وتارة ينسلخ عنه وهو في صورة اللاعب والمدلي له يحضضه على القبض ليسلم ويشتغل بغيره فتارة يمتثل ويأخذه ويسترسل به الحبل إلى أجمات المطمورة فوق رأس القاعدين الراضين بمقامهم وهم يضحكون عليه لفشله ويفرون منه مخافة السقوط عليهم معتقدين أنه يسقط ولو بعد حين وعلم المدلي أنه إن جذبه بقوة وهو لم يأخذ بجد ينسلخ بالكلية ويتكسر ويهلك من معه من العامة فيتحير في أمره ويشفق عليه ولا يجد له سبيلا وليس هو من العامة أهل السلامة ولا من المريدين أهل الجد ولا يزال يحرضه على التمسك وهو أيضاً في حيرة بين الخوف فيتمنى لو بقي مع إخوته فيضحك عليه كل من رآه غير مبد له الحنين عليه فإذا تمسك بعده بقوة وصبر لحرارة الحبل وقصر طرفه على الحبل ومدليه وصار لا ينظر إلا إلى أمامه فوق فإنه يأخذ الحبل بكليته بأسنان وركب وأصابع الرجلين وبجميع ما عنده وقطع النظر عن

إخوته في السفل بحيث لا يحب الرجوع إليهم ولا يجاوبهم بل عد النظر إليهم معصية وتاب من كلامهم ومخالطتهم وصبر لأذاهم بأنواع الضحك والكلام الفحش وعلم أن الحق لهم لأنه متراخ في السلوك طلع لحضرة البسيطة والشمس ولو بعد حين فمن وصل لا يضره ما أصابه في الطريق ولو تراخى فيها ومنهم من حصل له ملل فانسل مع الحبل ولم يتكسر به بقي سالماً مع فادح المشقة ومنهم من مل فسقط على أم رأسه فهلك كل الهلاك لا يرجى برؤه وهو الكثير في طائفة المريدين وعبد الحضرة يقنع بواحد إن أوصله ولو في جميع عمره ولا عليه فيمن سقط لأنه أسقط نفسه بها فمثال حضرة الملك حضرة الله جل جلاله عما يدرك بالعقل ومثال العبد الشيخ المربي ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**﴾ . [92] ومثال الحبل حضرة الشريعة ومثال المتمسك بنية الطلوع المريد . [93] ومثال الطلوع الفتح

---

[92] (47) سورة سبأ.

[93] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "ومثال المتمسك بنية الطلوع ومثال الطلوع الفتح".

ومثال الجالسين الراضين بمقامهم العامة فهم إخوة الطريقة الأولى ومثال الضـــيق الســـجن بالحجاب ومثال الظلام ظلام قلوبهم ومحنها وأما أهل الأولى فلما قيض لهم الحق بفضـــله بلا طلب من يدلهم عليه فصار الدال هو الطالب كطلب النبي صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام بإذن من الله وقوة منه واجتهاد وقومه في مطمورة العامية فكذلك الشـــيخ المربي في الأولى منزل منزلته في كونه كلفه النبي صـــلى الله عليه وســـلم بأمته وهو الخادم لها وهي في غفلتها ونومها فصار الشيخ عندهم يرشدهم إلى الله بمثل النبي صـــلى الله عليه وســـلم وزين لهم تجليات الحق بحجاب أو فتح فكل ما تجلى به عليهم وجبت محبته لأنه الملك الحق وزين لهم العكوف على أعتاب العبودية بلا تأمل ولا مشـــقة وبين لهم أن هذا مراد الله لا محيد عنه وإنما يحب طاعة الملك في كل الأحيان وشـــكر نعمه ظاهرة وباطنة وأن الملك هو الذي أدرى بمصـــالح عباده فجردهم من الأكوان وقال لهم إن هذه المطمورة ليســـت قاهرة لأنوار الملك وإنما قهرت بصائركم وأبصاركم لا غير فعن قليل إن صفت سرائركم

وتمسكتم بأمره ونهيه على وجه الامتثال لأمره وعلى وجه الشوق له وعلى وجه العظمة منه تشاهدونه على وجه السلوك بل يجب عقلا وشرعاً وطبعاً الرضى بمراده فإن أرادكم يتجلى لكم في أي موضع فلم تقهره الأكوان فلما عزموا وفهموا مقتضى إشارته مصحوبة ببركة سر المربي بالله لا بنفسه معولا على ما عند سيده من أن من أراد للمباسطة والمقابضة يحركه له فهو بين أصابعه والعبيد كلهم صائرون لحضرة نوره به بحسب علمه القديم لا بحسب ما يعقل فلما رأى الحق صفاءهم وقبول رأي شيخهم بحيث لا ينتقلون عما قرره شيخهم غرقى بسكر حلاوة كلامه لما معه من جلال وجمال الله فأزال غيراً وغيرية في قلوبهم مع الثبات لصولة حضرة الملك ومن جملة الغير المطمورة زالت بقلوبهم وزالت عن أبدانهم فبقوا في حضرة الملك منعمين مع حضرة شيخهم مقبوضين بقبضة يده مشمولين في حجر النبي صلى الله عليه وسلم والنبي في حضرة الله دائماً فينظرون بأعين النبي صلى الله عليه وسلم وبزجاجته وبقلبه وبدينه وبتوحيده وصاروا عين جزء من أجزاء شيخهم

لحـــضـــرة النبي صلى الله عليه وسلم فالفقير في الأولى يجب عليه أن يســتحضــــر أنه في قبضة يد شيخه محوط بحياطة أصـــابعه قابضـــاً عليه كل القبض فلا يتركهم للإرادة تلعب بهم فضلا عن المراد وآثاراته فهو عائش عيشاً رغداً في كنفه محفوفاً برعايته بحيث لا يترك أحداً يمشـــي ويتردد لأهل الثانية لأنهم يفسـدون بكثرة المخالطة طوياتهم أو يقع التشـاجر والمراء فكل واحد يحب أن ينـــصر مذهب شيخه فهو عين الإدبار عن الله والركون إلى الله لنفس وهو ســـر منع الزيارة في الطريقة الأولى بإذن نبوي فهمه من فهمه وجهله من جهله فكل من جهل شـيئاً عاداه .[94] ويد الشـــيخ مقبوضـــة عليه بقوة بحيث لو تمالأت الصبيان على فتحها ما اسـتطاعوا والصبيان عندهم أهل الثانية قبل التجريد والشـيخ محوط بحياطة صاحب الشرع صلى الله عليه وســـلم فالفقير عليه في ثلاث حضـــرات حضـــرة القبض وحضــــــرة الحجر والحجر وصاحبه في معاينة الله دائماً وهو

---

[94] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "عداه".

الظاهر في الحضرات كلها والباطن فيها فالحضـــــرات ولايات مختلفات الأحوال والمقامات والفوائد والأســـرار بحســـب ما تقتضـــيه حكمة الحاكم من الله جل وعلا والفقير من حيث هو على الحقيقة إنما هو متبع رســـوم الأولى لأنه من افتقر قلبه مما ســـوى الله أي تجرد من الغير والغيرية وأعظم الغير الإرادة فلا يناسب هذا اللفظ إلا المحمديون بالأصالة أو بعد السلوك حال التجريد فالمريد لا يناســـب الطريقة الأولى وكذا كثير من الاصطلاحات القومية محلها الثانية لا غير ولا يناسب منها أهل الأولى إلا ما رمز إليه كبارها المربون فيما يتعلق بالفناء في حضـــرة الله وبالصحو وحاله ولا يناسبها رمز المشتاقين لأنهم غلبهم الحال وأهل الأولى غلبوا حالهم ولا ما يتعلق بالمكونات لأنهم معرضـون عنها ولا بما يتعلق بالإرادة والمريدين من أذواق المقامات والمواقف فإنهم اصطلحوا [95] على رموز بأذواقهم ليلا يعرفهم داخل فيهم وأهل الأولى يستوي عندهم العاكف والبادي

---

[95] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "اصطلموا".

لأنهم ما ظهروا برسوم الأسرار والولايات وإنما هم عامة صفت بواطنهم بالله فنطقت بالله قهراً وفعلت بالله قهراً وصمتت بالله قهراً بلا قصد فإذا حركهم تحركوا من غير مراعاة سياسة الدخيل وغيره بل كل واحد ما خلقه الله إلا لإتقان الوجهة إليه عرفه من عرفه فأتقن بالله وجهله من جهله فمال لغيره من أنواع الإرادات ولم يعلموا أن الله هو المريد لا غير المومن لا غير ولم يكن مومناً بنفسه فالله هو الفاتح باب الإيمان وهو المومن وغيره فمن يدعي الإيمان إنما ظهر فيه سر اسمه والله هو المحسن لا غير وكل ما ظهر بصفة الإحسان ليس هو المحسن فإنما تجلت فيه صفة اسمه وقس عليه جميع مظاهر الأسماء فعليك بالعكوف على أعتاب العبودة والعبودية والعبادة فإن الحق أفصح جل جلاله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [96]. مشتق من العبادة والعبودية والعبودة فإن علمت ما استحسنت الشريعة فانسبه لله أدباً وإن علمت ما استقذرته الشريعة بما

---

[96] (56) سورة الذاريات.

فيه من حضرتك فانسبه لنفسك أدبا وفي الحقيقة هو الظاهر هو الباطن لكن لابد من سجاف الشريعة فإن الحقائق الثلاث حقيقة الشريعة وحقيقة الطريقة وحقيقة الحقيقة حقيقة واحدة فالحقيقة مخدع لا منفذ له إلا الحجرة والحجرة لا باب لها إلا الخوخة فمثال الشريعة مثلا باب خوخة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات كل مومن كما أن حضرة النبي أم كل مومن وهو لحضرة الله جل علاه بحيث لا يدخل إلى الحجرة إلا منه ولا يفتح الباب إلا بإذن صاحب الحجرة لمقام الاحترام ﴿**وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾ [97] وأبوابها الإذن من ربها فإذا رأيت باباً مسدوداً للحجرة وعرفت أمك فيها أصل طورك معظمة بحجاب العز النبوي وقمت إلى الباب يفتح لمقام النبوة والشفقة والرحمة والرأفة فإذا أدخلت انتقلت إلى المخدع الذي هو البيت فيه تبقى فيها فإذا آنست لمحاسن الحجرة واطمأننت بها ظهرت لك الأم المشفقة في البيت فإذا قمت فيها تجدها على

---

[97] (189) سورة البقرة.

منصتها مهيئة لمقام النبوة وهي المقصودة بالذات لا الحجرة ولا الباب فإذا كنت في البيت ظهرت لك الحجرة والخوخة والمسجد وإذا كنت بالمسجد وأردت الدخول للبيت بلا باب فهو من قبيل المحال العادي وإذا كنت في الحجرة يظهر المسجد بفتح الباب والبيت وعليه فالشريعة أم الحقيقة والطرائق فمن دخل فيها وقام بجد يصل إلى ما بعدها من الطريقة والحقيقة وإذا كان خارجاً عن الشريعة وطلب الطريقة والحقيقة بلا شريعة فهو زندقة بنت النفاق أرذال الكفر وعليك برسم الشريعة فمن ترك منها حرفاً عوقب عليه بظلمة ما يناسبه من قبله وربما يدخل الشيطان لبعض المريدين بحيث يكرهه مجلس الفقه وهو جاهل ويحسن له الحقائق وكتبها ويستثقل كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب العلماء ويستحلي له اصطلاحات القوم والتشوق لكلامهم بلا ذوق وهو وهم فاحش فاعلم أن ما ذكره العارفون من أذواقهم ما ذكر ولا كتب ليقرأ ولا ليعرف لأنه عمره لا يعرف إلا بالفتح فكل ما توقف على الفتح فالفتح يقوم مقامه بلا اصطلاح وإنما

دونوه ترويحاً لبواطنهم وإيقاظاً لأمثالهم في التوله بذوق حضرة الملك الحق ويفسرون ما يفسرون من السنة بالوهب لأمثالهم له أهله لا أنهم عرضوه للعلماء بالرسوم فإنهم بمعزل عنه وعليه فذهب الإبريز إنما وضع للكاملين من العارفين ترويحاً لهممهم وتلذذاً لمكان بواطنهم على سبيل إذاقة الجيران وإن كان عندهم مثله فيقبله الجار مصحوباً بالدعاء والهدية له ويعرف أن شأن الجار أن يجيره وكل واحد منهما يفيض على صاحبه ويتساجلان بدلاء موائد الإكرام وأما العالم والعارف فلا نسبة بينهما في الجوار لأن العالم ظاهر بنفسه باعتقاده وإن كان يقول بلسانه خلافه والعارف ظهر بالله فشتان ما بين أنوار الله وظلام النفس وعليه فكلام العارف لا يعرفه العالم قطعاً إلا من جهة صنعة علمه العربية والعربية في كلام العارف إنما هي واد من أودية بحوره فلا يصل العالم بصنعة علمه إلا جزءً واحداً من أجزاء الأودية ولا مطمع له في معرفة الأودية كلها فضلا عن الإحاطة بقعر بحوره فافهم ولا تكن ممن اغتر بجواهر كنوز أذواقهم فإنك لا تصلها إلا إن دخلت من باب بيوتهم بإذنهم

والعلم بالمشافهة وأفواه الرجال لا من الكتب وإنما يعرفه في الكتب من ذاقه من الرجال مشافهة ولا يطالع العارف كتب القوم بالاستفادة بل لقبول هدية إذاقة الجيران ولا تدخل إلى مخدعهم إلا بالفناء عن نفسك ((**يا داوود خل نفسك وتعال**)) فالعالم له مقام كبير في بابه وهو أكثر الناس تبعاً وعملا ومئونة لكن إن تعلق ورضي ببعض العارفين ينجذب ويزف في مدة لحظة ويصير من أهل الحقائق وإنما عظم حجابه بالعلم إن تجمد عليه أبداً ولم يتعلق بالعلماء بالله فإن كنت ذا بصيرة يغنيك كلامنا عن دلالة دليل وحكمة حكيم لأنه ﴿**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ .[98] فأبواب الله مفتوحة على يد صاحب الفتح الختم صاحب الجنة مهيئة لمن أراده الله في علمه وأقدره بقدرته وإياك من رؤية النفس في المواقف كلها وملاحظة الحظوظ في كل حال من الأحوال فإن غيم الحظوظ يحول بين المرء وبين حضرة شيخه وحضرة نبيه وحضرة ربه وهو المراد الذي

---

[98] (6) سورة النمل.

يشـكك هل يصـل إلى مقصوده أم لا فيكون صاحبه متردداً في أمر الرزق تبعاً لإبليس الذي يقول بوســوســته وإياك أن تثق بضــمانة الحق جل جلاله فتركنت البواطن له وهو بنفســه إنما لعنـه اللـه بحظـه معه وهو عارف مقام ربه وهو مريد قبل الطرد فلما تحير رجع إلى أصـل إرادته وأهلكته من حيث أهلكت من بعده فعليك بالبعد منها فإنها كعبة شـرور واستمسـك بما قواك الله من الاسـتعانة به لا بنفسـك ومن العبادة به لا بنفسك ومن الهداية به لا بنفسـك ومن الثبات في الطريق به لا بنفسـك كما أوجدك بقدرته لا بنفسـك وكما رزقك في البطن به لا بك وكما ابتلى والـديـك بمحبتـك ليقبلا عن أطوار طفوليتـك بـه لا بـك حتى كبرت به لا بك ووفقك للإســـلام به لا بك وبعده تدعي الســـفر بنفســـك وبقوتك فكن كالجنين في البطن تكن عارفاً وكـالولـد يوم الزيادة تكن عـارفـاً وكن كـالفـاس المعرض للحكم الإلهية في كونك ميتاً حياً غير مريد وإنما هو معرض للحكم تكن عارفاً فإذا عرفت نفسـك بضـعفها وعجزها وذلها وجميع النقائص البشــــــرية تعرف ربك بالملك والعز والقهر وبالكمال الذاتي

فاعرف أن كل كمال لله لا حظ فيه للعبد وإذا ظهر كمال في بعض العبيد فإنما ظهر فيه كمال سيده وليس ذاتياً ومعنى قولك الحمد لله الكمال الذاتي الأصلي له وكل من عنده نوع كمال إنما هو طارئ بإفضال سيده الله لا بعمل ولا تعمّل أياً كان وإنما شرعت الأسباب للحجاب لا للرزق فالرزق من يد الله يأتي بلا سبب والسبب تعمّل العبد أمر ربه لا غير فكل ما ظهر مما وصله العبد بسببه لا تعمّل له فيه فإذا فهمته اتضح لك معنى نقطة الوحدة التي هي عين اتحاد الفعل والوصف فلا ترى لشيءٍ من نفسك وغيرها عملا وإنما ترى له استعمالا فتقصّر نظرك على عين الوحدة فتشتغل بما أمرت به مباشرة مشاهداً فعل سيدك وشاهداً فعلك وعليه فاعلم أن الله أحد وتر وربك ملكه من شفع بحسب الظهور وركبك أنت من شفع سوى أمر جامع لسراية جميع ذاتك وهو القبل والدبر وإنما أفردا لاجتماع سر البدن فيهما ولا يطيقه إلا بركة الفرد ثم إن الفرج لهذا عظيم بحيث تعظيمه لا استقذاره كما يسرع للطباع إنما أمر الله بستره تعظيماً كتعظيم امرأة حسنة بوجوب تغطية

بدنها وليس في بني آدم موضـــع مســـــتقذر إن اتقى الله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ . [99] فالخطاب سـار في جميع الأجزاء وإذا تمهـد علمـت أنـه فتح لـك عينين أمرك بإغضـــائهما عن مســـاوئ المومن وأمرك بغضـــهما وجوباً عند المحرمات من النسـاء الأجانب والشبان ذوي الأرداف ولو كنت ما كنت لأن البركة مع الشـريعة لأنها سـبب شـرعي وجب فعله وإلا يدر لك الفلك بموافق ضـده من الغضب إن لم تفعل ما أمرك به الشارع فقـد نزعـت يدك من الأســـباب وهو معرض للمقت فمن ترك حرفاً من الشـريعة لابد أن يظلم باطنه حتى يســتلذ الظلام من الجهل والمعاصـي ثم الكفر فمأمورات الشـريعة إنما هي سـبب وترك السبب معصية والاتكال عليها كفر ولا تهمل غض طرفك عند أبواب الناس ولا في النظر جهة سـطوحهم ولا عند التعليم في المكتب فإن إزالة قشـــــر الشـريعة ليس بهيّن ثم أمرك أن تفتح عيناً تشـاهد بها فعل ربك وعيناً تشـاهد بها فعل نفســك

---

[99] (13) سورة الحجرات.

بالمباشرة فالمزية لفعل سيدك فإن خالفت تركت السبب الذي هو عين المعصية وأزلت قشر الشريعة فإنك إن رأيت فعل ربك فقط وغلب عليك شهود فعل الله قبل الأوان فإنك أسقطت بالملازم في حكم التكليف الذي لا يسقط لأنه حكم جرى بأن تقول مثلا عند المعصية فالفاعل هو الله ونسبته للفحش ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾.[100] وإن رأيت فعل نفسك فقط فقد ادعيت الخروج عن ملك الله والشرك معه والضد بلزوم تعدد الفعال وليس بطريق واعلم أن الملك له أن يكلفك بالمحال مما لا طاقة لك به بأن يكلفك بحمل الجبل العظيم وحدك أو بالخروج تحت السماء مثلا وله أن يعذبك إن خالفت أمره من غير حاكم يحكم عليه لأنه المالك وله أن يقول لك افعل فإذا فعلت يعذبك عليه غير ظالم لأنه تصرف في ملكه لكنه لم يكلفك فضلا منه فإذا فهمته علمت أن

---

[100] (90) سورة النحل.

المطلوب منك الأدب في حال التلبس بالفعل وبعده ففي حال التلبس به إن كان حسناً تشاهده كله من الله وإن كان قبيحاً بمخالفة أمر الله ولا حسن إلا ما حسن الشرع ولا قبح إلا ما قبحه الشرع ولا عقل لأحد يميز به بين الحسن والقبيح إلا ما اكتسب من نور الشريعة وإلا لزم عدم الاحتياج للشرائع والأنبياء ومؤاخذة غير الرسل إليهم ولم تنزل الشريعة به بل بضده وهو إرسال الأنبياء وعدم المؤاخذة قبل الإرسال وقبل تبيين الحجة وكيفية الأدب فيه فهو ما وقع لبعض الملوك بأنه خص بعض عبيده بعين الإجلال تفضيلا له على أركان أحرار دولته فسأله كبير دولته عنه لأنه خرق لعوائد الملوك فأخرج درة نفيسة فأعطاها لوزيره وأمره بكسرها فقال المصلحة عدم الكسر لنفاستها ولغيره كذلك وأعطاها لمملوكه الملحوظ فأمره بكسرها فكسرها بالمرة وزجره سيده عن الكسر فأجاب يا سيدي ظلمت نفسي عمري لا أكسر فقال الملك للوزير فهل رأيت سبب التفضيل بل الإيثار أنك أمرتك بالكسر فعصيت وأفتيت لي رأياً أتبعه وهو مصلحة بقائها والملك لا يحب من يرد عليه

كلاماً وهذا عينه وهو ســـوء أدب وعصـــيت أمر الملك بعدم الكســـر فالمعصية عين الهلاك لا سيما في حضرة الملوك وهو ســوء أدب والإنســان لا يحب إلا بأدبه لا بعلمه فيترتب عليك وعلى الحاضــرين غضــب الملك لكنه خففه عليك غفلتك عن الأدب والغفلة من الجهل والجهل لا يصلح لحضرة الملك فلولا فضلي عليك ورحمتي لمحوتك بسوء أدبك من ديوان سياسة الملك فالعبد أمرته أولا فامتثل بأدبه حضــرة الملك فزجرته غير ظالم له لأنه ملكي عن الكسر فتضــرع ونسبه لنفسه لا لأمري فلو أخرجت له بعد درة لكسرها بالإشـارة فضلا عن التصريح لأدبه ولو زجرته عن كل واحدة لنسبه لنفسه وتضرع وهو شأن العبيد مع ســيدهم فالأدب يكبر المملوك وسـوء الأدب يصـغر الكبير بعلمـه وجاهـه ومالـه فمثال الملـك الحق جل وعلا وله المثل الأعلى ومثال العبد عبد الله مقصـــود الله فيه الأدب فإذا عمل حســناً نسـبه لربه ولا يرى نفسـه أهلا له بل إفضـال منه ولا يترصـــد ثواباً عنه فهذا هو الأدب وإذا عمل ســيئاً نســـبه لنفسه بحيث يرى عين فعل المباشرة لا غير ويرى نقصان نفسه

وأنه يلحقه غضب سيده إن لم يتفضل عليه فيرجع لسيده بالأدب والبكاء والتضرع والخوف فيرى ذنبه كجبل ساقط عليه ولا محيد له تحته فإنه إن شخصه كالجبل يعينه[101] على الاضطرار لسيده بحيث لا يرى منقذاً له من الجبل إلا إن حنّ له وعليه سيده ورقّ بالصفح وإن استصغر الذنب يعينه على هلاك نفسه لعدم شهود عظمته فإن جرى لك قدر فاحمد الله الذي وفقك له لولاه ما اهتديت له وإن جرى عليك القلم فاخضع لربك وتأدب معه وانسب العمل لك ((**المومن يرى ذنوبه كجبل والمنافق يرى ذنوبه كذباب والمومن يرى حسناته كذباب والمنافق يرى حسناته كجبل**))[102] وليس المقصود فيك ألا تعصيه بل عين الأدب السابق فلا ترى لنفسك حولا ولا قوة وإنما ترى في المعصية فعل المباشرة لا غير ففي الحسنة تفتح العين التي لا تنظر إلا فعله وفي المعصية تفتح

---

[101] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "بعينه".

[102] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6308.

عينك التي لا تنظر إلا فعل نفسـك والعبرة بأدب البواطن وإنما يظهر أثره في الظواهر فهذا كيفية المعاملة مع سـيدك وهو أن تعامله بالأدب حال العمل وبعده فإنه إن عملت حسـناً ونسـبته له وعملت سـيئاً ونسـبته لنفسـك يقل لسـان فضله جل وعلا فعلت يا عبدي حسـناً ونسـبته لي وعملت سـيئاً ونسـبته لك فهذا أدب عظيم فقد بدلت لك به سيئك حسناً ﴿**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ .[103] ولا ترد تبديلا ولا غيره ولا تبغ إلا ما كتب في رسـمك في عنقك فإن النطفة إذا وقعت في الرحم يقابلها الملك الموكل بها حراسـة فيقول على سـبيل طلب العلم لا غير يا رب نطفة فيقابلها أربعين يوماً حتى تسـتحيل علقة فيقول يا رب علقة فيراقبها مثله فتسـتحيل مضغة فيقول يا رب مضـغة فيراقبها مثله فتسـتحيل مخلّقة أي مفصـلة الأعضـاء والعروق والأجزاء فيقول يا رب ما رزقه ما أجله ما مصائبه أذكر أم أنثى فيعلم من قبل الله جل وعلا جميع ما تعلق بأمره فكما

---

[103] (70) سورة الفرقان.

يســـــتحيل أن يبدل ما علم الله أنه ذكر فكذلك لا يبدل ما في علم الله الذي علمه الملك من تقادير رزقه وأجله فيكتب الملك جميعـه في رســـم ويطبعـه بخاتم القـدر الإلهي فيعلقه في عنق الجنين وهو في بطن أمه فيصـــحبه الرســـم إلى قبره بحيث لا يتبدل شـيء منه ﴿**وَكُلَّ إِنسَـانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ .[104] ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**﴾ .[105] ثم إن الرسـم يكتب على حسـب اللوح المحفوظ أي رسـم تقادير جميع ما كان وما يكون في علم الله على حسـب المشيئة الأزلية فاعلم أن الألواح متعددة بتعدد النســخ أم الألواح فأما أم الكتاب أصـــلها فلا تقبل تبديلا ولا تعليق فيها ولا يطلع عليها إلا من اختصـــه الله بمحبته وهو نادر والحكم للجل وألواح مختلفة الرقم والشـــــروط متباينة المباني فلا يفهم مطابقتها مع الأصـــل إلا من رســـخ في العلم المومنون بعلم الغيب وبمقتضـــى الأصل يخبر جبريل عليه السلام جنس الملائكة بأمر الله بما علمه الله إســرافيل وهو شـــيخه فيه وهو

---

[104] (13) سورة الإسراء.

[105] (29) سورة ق.

الذي حفظ من الشيطان بالشهب ببركة أهل الوحي لـيلا يلتبس الوحي بغيره والألواح المتباينة يطلع بعض العارفين كرامة له ليزيد في علمه بقوة تجليات الأسماء ويركن إلى صحبته وربما يتخلف وهو الكثير لأنه مكتوب بشـروط متعلقة بالأعمال مـوافقة للشـريعة المطهرة فعمره مثلا ثلاثون فإن وصل رحمه فسـتون وإن تصـدق كذلك وقس سـائر المروي فيه عليه والألواح مكتوبة بخط غير معروف بالصـناعة إنما يدرك بالفتح والفتح علق بحسـاب الزجاجات فمن صـفت زجاجته من الحظوظ العاجلية والآجلية صـح فتحه ومن اجتهد مع الحظوظ يظهر له فتح في صـورة برق تارة تنضـبط فوائده وتارة لا وهو في نفسه صحيح مستقيم لكن غيرته الزجاجة كمن أبردت عينه فيرى صـورة واحدة صـوراً متعددة فإذا أخبر بأمر يقع فيه اختلال وبعض صـدق فيجب على الإنسـان ألا يخبر بمرءى حتى يحققه ولا يتحقق له حتى يجرد نفسه من الحظ فإذا تجرد منه وأريد به له الفتح يضـبط الحقائق الملكوتية والملكية فإذا تحقق عيي لسـانه عن الإشـارة فضـلا عن النطق فالأدب

السكوت وسوءه النطق وهو فتنة على نفسه والناس يسيء الظنون بأولياء الله عند التخلف ويسوء ظنه بالله فإذا علمته تعتقد أن العلم كله لسيدك وأن علمك شيءٌ هباء لا أصل له فكن مثله أي مثل هبائية علمك وعملك وافن عن العلم والعمل واثبت في حقيقة ربك ونزهه بما تعلمه فعلمه بخلاف علمك وولايته بخلاف ولايتك فولايته عليك وعلى غيرك أصلية وولايتك حادثة لها حكم الحدوث والعرض والعرضي لازمه الانتقال واجمد جموداً كلياً فأنت عبد وإن علمت وعلمت فحد العبد أن كان مملوكاً لا مزية له إلا باعتبار نسبته لسيده فإن كان ولابد من الإرادة فأرد سيدك وسيدك معك دائماً أبداً بذاته فتأدب لحضرة السيادة ولا تعترض عليه فيما تعلق بك وبغيرك فإنه النافذ حكمه في أجزاء ملكه من غير مبالاة بك وبغيرك فاصمت وكن من الشاكرين لمقام العبودية ولا تتشوف إلى ما ليس لك من شئون السيادة وإن ولاك فولايتك غير معتبرة بل تولية العبد على نفسه فإن خانها بسوء الأدب مع سيدها يرم بنكال العزل والتعزير ولا تثق بحالة ولا تمل لغير

فعل سـيدك ولا تعترض لرياسـة من أبناء جنسـك فإنه وإن ولاك عليهم فولايته عليك راقبة وعينه لك شـاهدة فأحب كل من ولاه سيدك عليك أو ولاك عليه فإنك مسئول عن الأنفاس واجعل حضـرة سيدك جنتك وأنت فيها حاضراً معه أو غائباً فإن حضـرت فبه وإن غبت عنه فبه بسوء طويتك فسراية قدره فيك وفي غيرك فشم رائحة الإقبال على مولاك واستقذر رائحة الإدبار عنه فإنه نجس محض فكل ما حكم الله به في كتابه بنجاسته إنما هو روائح الإدبار عنه وليست أعيان العالم بنجسة إلا منه فالمدبر عنه عين النجاسة وأسبابه وسائلها ولا تعتقد غيره فإن فعل الله أي نوره أظهر أجزاء العالم وحكم بنجاسة الإدبار وأسبابه ولذا فالعارف لا يرى روائحها ولو في فضلاتها لاتصاله مع ربه ولذا كانت فضلات الأنبياء أعيانا طيبة تمزج بالعطر الفاسد فتصيره عديم المثيل فتعطر به العرائس والنجائب فتقفت ورثتهم سنتهم فاعلم أن ما خلقه الله ظاهراً باعتبار المفعولية مطهرة بفعل الفاعل وإنما حذرنا السيد من اتباع الهوى وما نشأ عن الهوى من فضلاتنا فسبحانه من رب

عظيم الصنع والعرف ما أجله وما أخفى فعله ولا يشم رائحة فعله إلا من قواه سيده بسلب اختيار عقله وفعله فمن تجمد مع عقله وعوائده لم يشم رائحة فعل سيده فخالط أهل أي فن تريده فلا تصل إليه إلا بهم وإن زعمت أنك ولي أو عالم زمنك فلا بد لك من ناصح يرشدك فإن ضللت بصّرك وإن أبصرت أعانك وآنسك فإن فشلت قواك وإن قويت أمدك وأنجدك فإذا فهمت تلويحاتنا فلعله ترشد به فإن رشدت وفطنت وحذقت وأحصنت جمعت ذل العبودية فإذا صفت نفسك أي صفت بالله لا بك من رذيلة الطمع والحظ وأحسنت وجهتك كل الإحسان من غير إرادة شيءٍ مع سيدك بقطع الأماني معه اعتماداً على سيادته قبل وجودك ووجود أبيك آدم عليه السلام معتمداً على فضل السيد وقسمته وسويت بين عينيك كل عبيده بالتفضيل والتعظيم وقطعت النظر عن الطاعة والمعصية وعن المجانسة بالآدمية والحيوانية واستوت عندك دلائل سيدك التي هي مفعولاته لأنه ما من مخلوق إلا ويدلك على سيدك صانعه وما لون لك خلائقه إلا لتسلك إليه على عدد

طرق مخلوقاته فما من مخلوق إلا وهو طريق متصـلة بسـيدك فالعارف يسـلك قناطر مخلوقات سـيده ويرى سـيده في كل شيء ومهما كثرت عنده فتوحات أكوانه اتسعت دلائله وأشرقت مرآته فيعبد الله عند تراكم الأكوان في قلبه ويتجلى له ما لا يتجلى له مجرداً من الأكوان فيحصل له عند رؤية أي مفعول ما لا يحصل للمريد في جميع سـلوكه وتنبسـط له المعرفة في كل برج من أبراج رمز سيده لأن كل مخلوق رمز لحضـرة سيده فلا يجوز لك أن تفضـل ذرة على غيرها بعقلك لأن المفاعيل متحدة في سـراية الفعل لها خاضـعة لسـلطان الفاعلية فالنمل والجماد والآدمي فيه سـواء إلا ما فضـله السـيد فيجب عليك تفضـيله بسـيدك لا بعقلك فحكم عقلك إنما يدرك اسـتواء المفاعيل وأن الفاعل يفعل في ملكه ما يشـاء فإذا شـاء فاعل وهو سـيدنا إظهار فضله أمرنا بتفضيله وتعظيمه فيجب اعتقاد فضـله ولا نفضـله على غيره إلا ما نص عليه السـيد فيمتثل مع اعتقاد سـر الله في المفعول فإذا ظهرت كمالات الله في مثل الأنبياء ومن دونهم من الأولياء والملائكة بنص منهم نفضـله بالله

ونشـرفه على نفوســنا لأنه مفضـل بالله وكل ما احتوى عليه من الفضائل فمن كمال الله وننظر فيهم خصوصية سـر أسماء الله وكل ما جعله سـيدنا واسطة في الإيجاد والإمداد قبلنا وساطته وننظر فيه وجه جلال سـيدنا ونحبه ولا نلتفت عن حـــضرته بإذن من ســيدنا بل نقف بالله لله ونحبه بالله لله ونطاوع انفعال سبب الوسـاطة والفعل كله من الله ونقف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا بأنفسـنا وقهر الله أوقفنا في حضرته صلى الله عليه وســـلم في أزله جل علاه ونكون أضـــيافاً لله عنده مجردين من الحظوظ معه بحيث لو سألنا صلى الله عليه وسلم عن حوائجنا عنده وعن سـبب ملازمة بابه لأجبنا بديهة السـيد ألزمنا معك ولو حتم علينا ما أجبنا إلا بأن الســيد جعل طاعته أي علق طاعته بطاعتك وجعل رضـاه في رضـاك وأنت خليفته الأعظم وإن ســألنا عن الحظ والســبب نجاوب بأننا في قبضـة الســـيد فإعطاؤه يغني عن تمنينا وفضـــله غطى طمعنا وإمداده أقنع كل نفس شاهية وإن سألنا عن الصلاة عليه صلى الله عليه وســـلم نجب بامتثال لأمر ســـيدنا مع ما طبعنا به من محبتك

فضــلاً منه ونحن صــبغة الله في أعتابك ملازمين غير منفكين من حضـــرتك ما دام الله الذي له البقاء ببقائه جل وعلا ولئن سألنا شيخ التربية لأجبنا بمثله مع بعث الرسول الأعظم سيد الكل وأصله إليك وأمرنا بالعكوف لحضرتك ونتحرك بإشارتك ونسكن بإشـارتك فذلك مراد الله فينا ومراد خليفته صلى الله عليه وسلم وإن سألنا عن المطالب نجب مطالبنا في علم سيدنا وما كلفك به فاقضــه اتباعاً لكناشــه جل وعلا ونحن صــبغة حضـرتك دائماً والسيد شرفنا بك ونحن عيالك بإشارة الله فإن الشـيخ إذا تحقق ذلك منك يعلم أنك ضيف الله لا غرض لك فيقوم بواجبات الضـيافة والإكرام تعظيماً بحق سـيدنا فاسـكت يطلب لـك مـا لا تعرفه فكل ما جاءك على يديه فاقبله من الله لا منة فيه ولا دسـيسـة ولا مكر فكل واشــرب والبس بركة سـيدك هنيئاً بما لا حساب بعده وإنما يتبع الحساب نعماً مبنية على الحظوظ في زعم المنعم عليه فأنت عليه في حضـرة القدس في الحضـــرات كلها والهج باللهم اقبلني في حضرتك وحضرة خليفتك وحضــرة وليك فأنت سيدي في كلها وفعلك سار في

أجزاء ملكك وأْمر خليفتك وخليفته بمحبتي على وجهك وأسكنها في قلبي وارسم حقائقها في قلبي في سائر حركاتي وسكناتي فأنت ربي وربهما. فامتثل أمر الخليفة بأمر خليفته فإنه ما جعلك سيدك في حجرهما إلا أن تؤدب على يديهما بأدبهما فإن الله أدب بنفسه خليفته بلا واسطة وأدب خليفة خليفته بوساطة الخليفة اقتداءً به و﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾. [106] والأسوة الاقتداءُ والاقتداء الاتّباع فآدابه التي أدب بها في حضرة سيده والتأدب سبب للأدب والأدب سبب لبقائك في حضرة سيدك دائماً وسوء الأدب بعدم الاتّباع سبب للمقت وربانا الله جل علاه بمخلوق مثلنا في المخلوقية وكان مفضلا علينا بالله فهو من جنس الأجرام والأعراض الحادثات تفضلا منه علينا وتسهيلا لنا طرق أدب حضرته فقرّ عيناً إن لبست رداء الصفاء من كدر الحظوظ مع مولاك ومع خليفته ووليه فإنك ضيف الله حقاً فلا تمل في

---

[106] (21) سورة الأحزاب.

حضـــرتي نبيه ووليـه دائماً بـل تحب بالله لله ويلحظ مقامك وتطلب حوائجك بلا بك وتقضـــــي[107] فعلك وتثبته على وجه الانطباع الإلهي في قلبهما وإن جئت من عند نفسك لحضـــــرة شيخك طالباً منه النجدة والنصر لا غير فإنه ينصرك وجوباً إن طلبت الحضرة الإلهية ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَـــرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْــرُ**﴾[108] وإن تعلقت به لأغراض نفسك الشهوانية يقل لك مـا جئـت إلي إلا لغرض ونحن مجردون من الأغراض لكن نمكنك منهم بعد حين بشروط ومن طلب حاجته يصبر لمرارتها حولا على أخيه حتى تختبر ســـرائره فإذا قضـــيت ما جئت له فاخرج عـن حضرته ومن قضى غرضه فليبعد ولا حظّ لك بعد استيفاء حظك بالتمتع به ولا في البقاء رحم الله من زار وخفف ﴿**فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِــرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾[109]

---

[107] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "تقض".

[108] (72) سورة الأنفال.

[109] (53) سورة الأحزاب.

فاعرف مقامك من الآية وإنما نزلت فيمن تبع النبي صـــلى الله عليه وسـلم لطعام أو غيره وأما مثل أبي بكر رضي الله عنه فقد أنفق ما نســـبه حظوظاً من الدنيا والروح على نبيه صـــلى الله عليـه وســـلم ولا دخول لـه في النهي وإذا عرفـت مـا قررناه فنوصيك بأعتاب الشـريعة ولا تخرم حرفاً واحداً منها عمرك كله فإنه سبب السعادة وخلافها الخذلان وعليك بالصلاة التي جعلها اللـه روحـاً لعبـادتـه والعبـادة ســـبـب ممتثـل وجوباً وأكثر من القربات التي ورد بها النص من الشـــرع امتثالاً ومحبة وشـــوقاً وقهراً واشـكروا الوسائط من الرجال واجعل نفسك تراباً لهم فهم ســاداتك ولو بلغت عند ســيدك ما بلغت فإنك ما وصـلت إلا بهم واجعلهم من نعم اللـه عليـك واشـــكر ربـك برؤية نعمه منه وتعظيمها لك واتبع إشـارات الأيمة الناصـحين للأمة ولا تسـتبد برأيك ولو بلغت منتهى ما تعرفه فإنهم أشـيـــاخـــك وآباؤك ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْـــنِ إِحْسَانًا**﴾[110] واتهم

[110] (23) سورة الإسراء.

نفسك وزكّ غيرك من الأيمة واقف سننهم ولا تتبع الهوى الذي هو عين الحظوظ فإذا تجردت وتحققت بأنك بحضرة ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[111] وأفنيت مراسمك فيها بالله لا بك فاستبق الخيرات وارحم من تبعك ومن لقيته بالدعاء والنصيحة بالسياسة الحسنة القرآنية والهج بذكر ربك وأكثر من الصلاة على حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أمته خصوصاً آل بيته وخصوصاً شيخنا منهم والهج بالترضية على الأيمة المجتهدين الهادين وإياك ومفارقة الشريعة وإن ظهر لك كل حقيقة فإنما هي كنوزها وافعل من أنواع المجاهدات أكثر ما يفعله المريدون لأغراضهم محبة في سيدك امتثالا له ولا تر سبباً فاتحاً وراقب مولاك وشاهده وعاينه معاينة شيخك بمشاهدة سر فعله في جزئيات ملكه واتبع سنة الأيمة في التوحيد وإن تحققت فلا تفارق رأيهم فهو الكنز المستمر الذي لا فناء له والربح الأبدي فنشهد أن لا إله إلا الله

---

[111] (16) سورة ق.

وأن محمداً رسـول الله ونشـهد على أنفسـنا بالضـعف والجهل ونبرأ من كل كلمة تلبس خلاف السـنة فمن وجدها في كتابنا فليحررها بالتقرير ونحن بريء منها. وكتبه الأحسـن بن محمد بن أبي جماعة البعقيلي السـوسـي ليلة الإثنين عشـرين صـفر الخير عام 1340 سدد الله مذهبه ونفع به آمين.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق
ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله
حق قدره ومقداره العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين.